

الفصل السابع: النظم الإسلامية

صفحة 211

الفصل السابع
النظم الإسلامية

وفية ننه مياحت

المبحث الأول: النظام المقدي
المبحث الثاني : النظام الاجتماعي
المبحث الثالث: النظام السياسي
المبحث الرابع : النظام الاقتصادي
المبحث الخامس : النظام القضائي

المبحث السادس: نظام المقوبات

صفحة 212

2- 1ت

صفحة 213

الفصل السابع
النظم الإسلامية

المبحث الأول
النظام العقدي

مفهومه :

العقيدة لغةً : مصدر عقد يعقد عقيدة» وتعني في اللغة : الشدء والضمء والتوثيق؛ والتأكيد؛ نقول عقد الحبل بمعنى شدة» وعقد الزواج؛ وعقد البيع لأن أفراداً إلى بعضهم البعض وعقد اليمين: أي أكده ووثقه بالإشهاد عليه. (17)

والعقيدة الإسلامية تحمل كل هذه المعاني اللغوية» فهي نظام ضم أفراد الأمة الإسلامية إلى بعضهم البعض وهي عقيدة مؤكدة وموثقة عن رب العالمين.

العقيدة اصطلاحاً: هي التفسير الإسلامي للحقائق الكبرى التي دعا الإسلام إلى الإيمان بها دعوة ملحة ومتكررة وهي: وجود الخالق» والكون والإنسان» والحياة الدنيا وما وراءها من حياة آخرة.

وقد جاء النظام العقدي الإسلامي ليجيب عن أسئلة الحقائق الكبرى للعقيدة الإسلامية؛ وهي: هل الكون أزلي لا خالق له أم هو مخلوق؟ من خلق الإنسان؟ وما هي الغاية من خلقه؟ وهل هناك حياة آخرة بعد الحياة الدنيا؟

أهميته:

النظام العقدي هو الأساس الأول للنظام الإسلامي سواءً أكان نظاماً سياسياً أم اقتصادياً أم اجتماعياً أم غير ذلك.

وتكمن أهمية النظام العقدي في أسباب كثيرة» أهمها:

(') ابن منظور المصدر السابق مادة (عقد).

-213-

صفحة 214

- 1- هو الركن الأول وحجر الأساس في بناء الإسلام.
 - 2- يمثل دعوة جميع الرسل إلى أممهم. قال تعالى: « وَلَمَذَّه فِي كُلِّ مَرَوْلا عَدُوا لَنَّهُوَعُوا الدَّمْتُ » (النحل: 36).
 - 3- هو الذي خلق الله تعالى العالم لأجله. قال تعالى: + وَمَا لَنُتْ لِنُ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِمَبْدُورِ (2) « (الذاريات: 56).
 - 4- هو الذي أخرج العرب من الشرك والظلم والجهل والتفرقة إلى التوحيد والعدل والمساواة والعلم والوحدة.
- وقد عبر القرآن الكريم عن العقيدة ب"الإيمان" وعن الشريعة ب"العمل الصالح" وجاء ذلك في كثير من آياته الصريحة قال تعالى: + إِنَّا لَنِ مَثُو وَاوَا لَصَحَّ يَكَاَنَتْ هَمْ جُنْتُ الْفَرْدُوسِ تُرْلا (5) 4 (الكهف: 107).
- أقسام العقائد:

وتقسم إلى قسمين؛ هما: العقائد الصحيحة السليمة» والعقائد الفاسدة الباطلة.

أما العقائد الصحيحة السليمة؛ فهي التي لا بد لها من شرطين هما:

1- أن تكون متفقة مع العقل؛ قال تعالى 2 وَفِي لُصِّمَتِ [تثقيت (8) كف ميك أن يرن (5) < (الذاريات: 20-21).

2- أن تكون موافقة لفطرة الإنسان. قال تعالى «كَأَقِي مَحْهَكَ لِين حَنِيكَاً
نَظَرَتِ أَنْ لَتِي مَطَا نَاسِ عِيَا لَا بَلْ لَلِقِ أَلِهْ دِيلِ أَلِيْثِ الْيَمِ وَلِلْكَتِ كَرِ
أَلْكَاسِ لَا يَمْلَمُونَ (2) 4 (الروم: 30).

أما العقائد الفاسدة الباطلة» فتشمل العقائد الوثنية. ومن أنواعها: تأليه الكونية» والبشرية؛ والملائكة» والجن والشيطان» والعقل. والعقائد الإلحادية و تقوم على إنكار الله واليوم الآخر» وقد أشار القرآن الكريم إليها فقال تعالى

صفحة 215

عن الملحين 2 إِنْ يَضِإْلاً حَصَانَا نِيَا مَوْتِ وَبَحْيَا وَمَا مِنْ يَمُوي () « (المؤمنون: 7

أركان العقيدة الإسلامية:

بما أن القرآن الكريم عبّر عن العقيدة بلفظة لطيفة هي (الإيمان)» إذن أركان العقيدة الإسلامية هي نفسها أركان الإيمان.

والدليل على هذه الأركان قوله تعالى: + (# يَنْبِيِ ارْ أَنْ مَوْتُو وَجُوكُ وَبَلْ لَمْشُوقِ
الْمَغِيْبِ وَهَرَمَ ءَامِنْ بَلْ أُولِي وَالْمَكْفَحْكَ وَالْكَتَبِ وَالْيَنَ 4 (البقرة: 177)

وهذه الآية. جمعت خمسة من أركان العقيدة» ولا توجد آية في القرآن الكريم جمعت الأركان الستة كاملة.

ودليلها من السنة النبوية حديث جبريل اليك المشهور» وجاء فيه: (.. فاخبرني عن الإيمان؛ قال: أن تؤمن بالله؛ وملائكته» وكتبه» ورسله؛ واليوم الآخر» وتؤمن بالقدر خيره وشره). (!') وفيما يأتي تبين لهذه الأركان:

أولاً- الإيمان بالله تعالى:

ومعناه: الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل رب كل شيء ومليكه وخالقه؛ وأنه

وحده الذي يستحق أن يفرد بالعبادة» وأنه المتصف بصفات الكمال كلها. (©)

فالإيمان بالله يتضمن قضايا منها:

- أن الله واجب الوجود بلا موجد.

- أنه رب العالمين مالك الكون؛ أوجد العوالم كلها.

() أخرجه البخاري في صحيحه (250 4777)؛ ومسلم في صحيحه (8) والترمذي في سننه (4610)؛ والنسائي في سننه الصغرى (4993)؛ وأبو داود في سننه (4695)؛ وابن ماجة في سننه (63).

© محمد نعيم؛ الإيمان» ص6-7.

-215-

صفحة 216

- أنه الإله المعبود وحده لا يعبد معه غيره.

وبناءً على ذلك فالإيمان بالله سبحانه وتعالى يتضمن ثلاثة أنواع من التوحيد»
وافي1

النوع الأول: توحيد الربوبية

ويعني الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى هو وحده خالق الخلق ومالكهم ومدير شؤونهم؛ فله الخلق والأمر كله؛ كما قال عن نفسه: **أَلَا د كَلْكُ وَتِيَاكُ** **لَلَّهْ رَبَّ الْمَلَبِينَ 00 4 (الأعراف: 54).** وقال جل شأنه: **+(الكند له تت آنتدتييت © (الفاحة: 2).**

فاله عز وجل هو الفاعل المطلق في الكون لا يشاركه أحد في فعله سبحانه.

النوع الثاني: توحيد الألوهية

ويعني الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى هو وحده المستحق للعبادة؛ فهو الإله الحق ولا إله غيره.

وهذا التوحيد من أجله خلقت الخليقة كما قال تعالى: **+(وَمَا خَلَقْتُ كَن وَإِدِن اِ يَمْبُدُون (5) » (الذاريات: 56).**

وتوحيد الله في ألوهيته يستوجب أموراً كثيرة» من أهمها:

أ- وجوب إخلاص المحبة لله عز وجل؛ يقول تعالى: **+(وَمِرْت لاي م بَتْدُ**

ين موب أ واد يبت كته ادا مرا أمدال 4 (البقرة: 165).

ب- وجوب إفراد الله عز وجل بالدعاء والتوكل والرجاء فيما لا يقدر عليه

إلا هو سبحانه وتعالى: يقول عز وجل: 2 وَلَا مَدْعُ مِنْ دُونِ أَدِمًا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَمِي مَنْ مَمْلَكَةٍ دَا مِنْ أَلَيْنَ (5) 4 (يونس: 106).

صفحة 217

ج- وجوب إفراد الله عز وجل بالخوف منه؛ قال تعالى: ج وَتَى زَمُونَ 4 (النحل: 1).

د- وجوب إفراد الله عز وجل بجميع أنواع العبادات البدنية من صلاة وصوم وذبح وحج وزكاة وجميع العبادات القولية من نذر واستغفار وغير ذلك» يقول تعالى: 2 فَإِنِّي تَأْعِبُونَ 4 (العنكبوت: 56).

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات

ومعناه الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل متصف بجميع صفات الكمال»

ومنزه عن جميع صفات النقص وأنه متفرد بهذا وذلك بإثبات ما أثبت الله عز وجل لنفسه من الأسماء والصفات في الكتاب وما أثبتته الرسول ويك لله تعالى في السنة من غير تحريف ألفاظها أو معانيها ولا تعطيلها ولا تكييفها ولا تشبيهها قال تعالى: لَيْسَ دُو- سَتَش وَهُوَ أَلْتَمِغ الصِيرُ (5) (الشورى: 11).

وبناءً على ذلك فتوحيد الأسماء والصفات يقوم على ثلاثة أسس من فاته شيء منها لم يكن موحداً ربه في أسمائه وصفاته؛ وهذه الأسس هي: أ- تنزيه الله عز وجل عن مشابهة الخلق وعن أي نقص.

ب- الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة» دون تجاوزها بالنقص منها أو الزيادة عليها أو تحريفها أو تعطيلها.

ج- قطع الطمع إلى إدراك كيفية هذه الصفات. 17)

أدلة وجود الله عز وجل:

الدليل الأول: الفطرة السليمة

إن الفطرة السليمة تقر بوجود الله عز وجل من غير دليل» فتوحيد سبحانه وتعالى أمر فطري في النفس يقول تعالى: + فِطْرَتَهُ لَتَ قَطَرَ نَاسَ عَلِيَا «

(' محمد نعيم؛ المرجع السابق ص 16-6.

لايك

صفحة 218

(الروم: 30) وبالتالي لو ترك الإنسان من غير مؤثرات الإنس والجن فإنه سيهتدي إلى الإيمان بالله عز وجل يقول الرسول ﷺ: "ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه!!" والمقصود بالفطرة الإسلام. الدليل الثاني: السببية

فالعقل يقول أن الموجود لا بد له من سبب لوجوده؛ وهذا ما أشارت إليه الآيات القرآنية الكثيرة» منها: قوله تعالى: + آم مَأْ مِنْ بَرِيءِ آم هُمْ احيشرت (م حَلَمُوا تَمَّت وَالْأَرْضُ بِل لَا يَفْن (2) 4 (الطور: 35-36).

وهذا ما أدركه راعي الإبل في الصحراء عندما ستل بم عرفت ربك؟ قال: "إن البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على العليم الخبير".

وروي أنه جاء بعض الزنادقة إلى أبي حنيفة وطلبوا منه إثبات وجود الله ف ضرب لهم موعداً يجادلهم فيه؛ ولما حان الموعد تأخر عليهم؛ فلما قدم عليهم عاتبوه على التأخير» فقال لهم معذراً: لقد قدمت إليكم في الموعد المحدد ولكن لبثت طويلاً على شاطئ دجلة باحثاً عن زورق يجتاز بي النهر فما وجدت فلما يئست هممت بالرجوع؛ وإذا بألواح من خشب قادمة بنفسها وجعلت تنضم إلى بعضها البعض لتكون مركباً بعدها ركبنا واجتازت النهر فقالوا: أتهزأ بنا؟ وكيف يكون لألواح تصنع من نفسها مركباً؟ فقال لهم: وكيف تُصدق عقولكم أن هذا الكون المتقن العجيب صنع نفسه دون خالق عظيم؟ فبُهِت الزنادقة وأسلموا.2»

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (1358؛: 1359؛: 1385؛ 4775؛ 6599)؛ ومسلم في صحيحه (2658)» والترمذي في سننه (2138)» وأبو داود في سننه (4714)؛ واللفظ للبخاري: (محمد الخطيب؛ دراسات في العقيدة الإسلامية. ص 59-60.

صفحة 219

الدليل الثالث: الإتيان في الكون

فالكون وآياته المبهرة تدل على وجود الله عز وجل خالقه؛ وقد دعا القرآن الكريم إلى التفكير في الكون في كثير من الآيات؛ يقول تعالى: + قُلْ أَنْظَرُوا مَا تَلْكُ لِيَكُوتَ وَالْأَرْضِ وَمَا نِي لِيْت وَا ر ع ن م ر لومت (4 (يونس: 101).

إن هذه الدعوة القرآنية تجعلنا نقف على حقائق عدة منها:

أ- الهندسة البالغة في مخطط الكون ونجومه وما فيه من مخلوقات، يقول تعالى: (مِهَال حَلَقَ الْمَوْتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْتَرَلْ مَرْت السَّمَلْه مِه مَأْخَرَجَ بُو نَامُوت رَز كَم وَسَكَّرَ لَكِ الثَّلَلْكَ تَرْقُ ف الْبَخْرُ يَتْرَمُ وَسَكَّرَ لَكِ الْأَنْهَدِرُ © «.

(إبراهيم: 32).

يقدر علماء الفلك عدد النجوم بـ 40.000 مليون نجم ومنهم من قدرها بـ (100.000 مليون نجم) فمن يمسكها عن التصادم أو عن الوقوع على الأرض» بل من يمسك الأرض نفسها؛ إنه الله عز وجل خالق الكون وما فيه من خلائق.

يقول الدكتور 'ماريت ستانلي' عضو الجمعية الأمريكية الطبيعية: 'إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه وتعالى' ويدل على قدرته وعظمته". (!')

ب- الإتيان المدهش في خلق الإنسان وتكوينه. يقول تعالى: 2 ف شيك ألا بُهرنَ (2) < (الذاريات: 21).

ج- الإتيان في عالم النبات والحيوان؛ يقول تعالى: > © إنَّ آم مق كلب وتيف «4 (الأنعام: 95).

د- الإتيان في المطر والسحاب وكيفية تكوينه؛ يقول تعالى: « أَلَرَأَيْتَ أَن 7 وو . م ضير :

مدر 4 (النور: 43).

| (محمد الخطيب» المرجع السابق» ص63-61.

صفحة 220

الدليل الرابع: الحكمة

والحكمة معناها: وضع الشيء في محله» وبالنسبة للكون فالحكمة ظاهرة فيه كله فكل شيء فيه موجود في مكانه الصحيح؛ ولا يمكن أن يكون في أحسن من هذا المحل الذي وضع فيه؛ ولنأخذ مثالين على هذه الحكمة:

أ- ظاهرة الموت: فلولا الموت ماذا سيكون الحال؟؟ يقول العلم: 'لو أن ذبابتين توالدتا هما وأولادهما دون موت فإنه بعد خمس سنين ستتشكل طبقة من الذباب حول الكرة الأرضية بارتفاع كسم» هذا جنس واحد من المخلوقات» فكيفاً بباقي المخلوقات إذا كانت لا تموت. |

ب- وجود البكتيريا: ما يخرج من الإنسان وحده يملأ الدنيا لولا وجود البكتيريا والعوامل الكثيرة التي تبيد هذا الخارج وتحوله؛ ومن هنا نفهم حكم كثير من المخلوقات التي نتصور مبدئياً أنه لا ضرورة لوجودها وبالتالي نتوهم لا حكمة من وجودها. (!!)

ثانياً - الإيمان بالملائكة :

ومعناه: التصديق الجازم بأن لله ملائكة موجودين « مخلوقين من نور » وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بها ومن أنكر وجودهم فهو كافر. (2)
صفاتهم:

من صفات الملائكة: (0)

1- أنهم مخلوقون من نور. فعن عائشة -رضي الله عنها- عن رسول الله
ف قال: 'خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار' وخلق آدم مما
صف لكم". 0
(') محمد الخطيب المرجع السابق ص64-65.
(محمد نعيم؛ المرجع السابق؛ ص32.

(3) عبد الرحمن حنيفة الميداني؛ العقيدة الإسلامية وأسسها ص240-235.
(# أخرجه مسلم في صحيحه (2996).

صفحة 221

2- قدرتهم على التمثل والتشكل؛ كما في قصة تمثيل جبريل اللا بشراً
للسيدة مريم عليها السلام يقول تعالى: « فَأَعَدَّتْ يَن دُونَهُ جَنَّا فَأَرْسَلْنَا ثَرَا
تَمَثَّلَ لَهَا سَمَاسَوِيَا 0 4 (مريم: 17).

3- لهم قدرات خارقة: ومن ذلك:

أ- يحملون عرش الرحمن على قلة عددهم يقول تعالى: ج وَالْمَآئُ غُلْكَ نِيْبِي
وَتَخِلْ عَرْشَ رَيْكَ وَهُمْ يَذِيَّةُ (5) 4 (الحاقة: 17).

يقول فلك: 'أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة
العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام'. ()

ب- النفخ في الصور فيصعق لها من في السموات والأرض يقول تعالى:
(رَنَقَ فِي الْوَر مَصْعَقَ مَن بَن أَلَمْتَ وَمَن فِي الدُّصِ إِلَّا مَن كَآه أَهَّة مَمَح فِيهِ أُخْرَيْن كَا
هُمَّ م بَنَطَرُونَ () « (الزمر: 68).

4- الطاعة والامتثال لأمر الله» فلا يستكبرون عن عبادته عز وجل ولا يتعبون» ويسبحون ربهم من غير انقطاع. يقول تعالى: + وَلَمَّن فِي السَّمَوتِ وَدِينِ

عسل وار م دم يمر اك سووو 2

ون يده كرون عَن عادو ولا سَتَسْخُورُونَ () بسحن اليل لبر لا ينثو 9) 4 (الأنبياء: 19-20) ومعنى لا يستحسرون: لا يكلون ولا يتعبون.

5- لا يتناكحون؛ ولا يتناسلون» فلا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة.

6- مقربون إلى الله تعالى ومكرمون؛ يقول تعالى: > وَكَأُوا تَصَدَّ يَمَن وَلَدِ
نع بل ند رترت 9) () (الأنبياء: 26) وهم متارتون في الخلق
والمقدارة ومن ذلك مقاماتهم عند الله عز وجل؛ يقول تعالى: (١) وَمَا يَنَّا إِلَّا إِلَه

ملم 9) 4 (الصافات: 164).

00 أخرجه أبو داود في سننه (4727).

-221-

صفحة 222

7- أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع أو أكثر من ذلك؛ يقول تعالى: + اَحْمَدُ
له ير توت ال جيل الملتهكة نها ال يسو موت وتيب ف ال مان
أَمَعْلَكَل تَوُو ميد) « (فاطر: 1).

8- كثرة عددهم فلا يعلم أحد من الخلق عددهم؛ يقول تعالى: + وَمَا يَعْدُ جَنُودِ
يَكِلْ هر 4 (المدثر: 31) ويقول الكيف: "إني أرى ما لا ترون» وأسمع ما لا
تسمعون» أظت السماء وطق لها أن تنطاء ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك
واضع جبهته لله ساجداً والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً..
ومعنى أظت: صوتت لكثرة الملائكة فيها.
أصنافهم ووظائفهم:

الملائكة أصناف ولكل صنف وظائف. وفيما يلي نذكر بعضاً من هذه
الأصناف ووظائفها:

1- أكابر الملائكة؛ ومنهم: جبريل رسول الله إلى الأنبياء والرسول؛ وميكال

صاحب أرزاق العباد» وإسرافيل صاحب الصور.

2- حملة العرش قال تعالى: + وَكَمِلْ عَرْشَ رَبِّكَ مَوْتَهُمْ يَوْذ كَبِيَّة © 4 (الحاقة: 17).

3- ملائكة الجنة» كبيرهم رضوان ومهمتهم الإشراف على أهل الجنة. قال تعالى: « وبق الذي أتما ربب إل آجنة وئرا حي إدا جأهوها وَيَحْت بها وال خر حرتها سلع نكم يشر نما حنيي () » (الزمر: 73).

(أخرجه الترمذي في سننه (2312) وقال عنه: حسن غريب و ابن ماجة في سننه (0) وأحمد في مسنده (7516) واللفظ للترمذي. ١

صفحة 223

4- ملائكة النار» ووظيفتهم الإشراف على أهل النار وتعذيبهم يقول تعالى: وين أن كرا إل جهم زرا حو إذا وكا فيحت وبا وكال لهم حرتنا أل ليك سل مميمدون لم يلت ركم ويروكم أ يري كنا) (الزمر: 71).

5- الموكلون ببني آدم وهؤلاء أصناف فمنهم الموكلون ب:

أ- نفخ الأرواح في الأجنة» وكتابة أعمالها وآجالها وأرزاقها وسعادتها أو شقاوتها.

ب- مراقبة أعمال المكلفين.

ج- قبض الأرواح.

د- حفظ الناس - بأمر اله - من شر كل ذي شر7)» يقول تعالى: له

ملت ين بن يديه وهن حلوو يحنطوته من أمر قو (4) (الرعد: 13) الجن:

الجن مخلوقات غيبية لا نحس بوجودهم.ء ولكننا نحن المسلمين نؤمن بوجودهم, فإنهم وإن كانوا مخلوقات غيبية» فإن الكون مليء بأمور غيبية لا نحس بها ومع ذلك نؤمن بهاء فالعقل مثلاً والروح كذلك نؤمن بوجودهما مع أننا لا

نراهما أو نسمعهما.

والإيمان بعالم الجن من مقتضى الإيمان والتصديق بكل ما أخبر به القرآن الكريم» فمن كذب بوجودهم فقد كذب بما أخبر به القرآن الكريم.

وقد تعرض القرآن الكريم للحديث عنهم في نحو أربعين آية من عشر سور تقريباً وهناك سورة كاملة في القرآن الكريم اسمها سورة "الجن".

سل سس

0

' عبد الرحمن الميداني؛ المصدر السابق؛ ص 241-245.

-223-

صفحة 224

حقيقة الجن وصفاتهم:

1- مخلوقون من مارج من ناره يقول تعالى: 8 وَعَلَى الْجَنِّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ تَارٍ © (الرحمن: 15). وورد في تفسير (من مارج من نار): من لهب النار من أحسنها. (!) والجان هو أبو الجن كما ذكر المفسرون.

2- مخلوقون قبل الإنسء والدليل على ذلك قوله تعالى: + وَلَقَدْ خَلَقْنَا لَضَنٍ عَنْ صَلَاحٍ يَنْحَمِلُ تَشْمُو © (وَلَلَّانَ فَتَهُ نَمْلٍ يَنْ نَرِ السَّمُوءِ) * (الحجر: 26-27).

الحما: الطين الأسود المتغير» والمسنون: المصوّرء والسموم: الريح الحارة القائلةء سميت بذلك لأنها تنفذ في مسام البدن.2)

3- يتناسلون ولهم ذرية: يقول تعالى: + (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا)

ى. عاك قد 01 55 0

3

إِلْدِي كَنَسِّ لَيْنِ طُتَسَقَ عَنْ آئِرٍ وَيْدٍ أَفْتِدُونَهُ وَرَتِ أُوَيْسَا* يَنْ دُوفٍ وَهُمْ لَكَرِ عَدُوٌّ يَفِي طَمْنٍ بَدَلَا (2) « (الكهف: 50).

4- يرونا من حيث لا نراهم» يقول تعالى: + نَمِ يَرْسُكُ هُوَ وَقِلْهُهُ مِنْ حَيْثُ لَا

رَوْمَ "ه (الأعراف: 27).

5- مكلفون بالإيمان والعبادة» يقول تعالى: + وَمَا حَلَمْتُ لَلنَّ وَالنَّيْ إِلَّا
ميدن (2) * (الذاريات: 56).

6- منهم المؤمن ومنهم الكافر وهذا تابع لما منحهم الله إياه من الإرادة
يقول تعالى: وَنَا نَا آمُونَ وَنَا طُونَ مَسَّنَ أَسْلَمَ قَوْلُهُكَ رَا مَعْدَا (8) وَأَمَّ
لُمْتِيظُونَ مَا نَوْ جَهَنَّمَ حَطَبًا © * (الجن: 14-15).

والقاسطون: هم الجائرون الحائدون عن صراط الحق.

(تفسير ابن كثير 244/4.

#) عبد الرحمن الميداني: المرجع السابق» ص 1 252-25.

صفحة 225

7- يأكلون أكلا لا نعلم كيفيته ولا ماهيته؛ وقد جعل الله زادهم في العظام
وروث البهائم والفحمة فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله #: 'لا تستنجوا
بالروث ولا بالعظام فإنها زاد إخوانكم من الجن', (!!)

8- لهم قدرة علي التشكل بالأشكال الجسمية التي يمكن أن يراها الإنسان؛
فقد كان الجن يظهرن لسليمان الكل ويسخرهم في أعمال جسيمة؛ كما كان الليليل
مسلطاً على تعذيب المسيئين منهم. ©©
ثالثاً- الإيمان بالكتب السماوية:

ومعسناه: الاستقاد الجازم بالكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله
جملة وتفصيله فكما أن الله أنزل على سيدنا محمد # القرآن فقد أنزل كتبه م
قبل على سائر الرسل. (60)

ولذلك فمطلوب مسنا أن نؤمن بالكتب التي سماها الله لنا والتي لم يسمها.
والكتب التي سماها الله لنا هي:

1- صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام؛ يقول تعالى: ج آم ل يبا يما في
سُحُفٍ مُّوبَى (©) وَإِبْرَاهِيمَ إِلَى وَ (©) « (النجم: 36-37).

وهذه الصحف مفقودة لا يُعلم منها شيء إلا بعض الحقائق التي أشار إليها

القرآن الكريم.

2- السطورة: وأنزلت على سيدنا موسى آي وهناك من العلماء من يرى أن التوراة تتضمن الصحف التي أنزلت عليه.

يقدر تعالى: وَلَ لِرَ وَإِصِيلَ (5) 4 (آل عمران: 3).
ههه

(|
, أخرجه الترمذي في سننه (18).
: عبد الرحمن الميداني المرجع السابق؛ ص253-256.
د

ميد تعيم, المرجع السابق» ص60.

-206-

صفحة 226

والتوراة التي صدق بها القرآن وطلب منا التصديق بها إنما هي الأصول التي أنزلها الله على موسى اللي وأما التوراة الحالية الموجودة عند أهل الك فليس لها سند متصل يصح نسبتها إلى موسى كلكلا كما دخل إليها التحريف والتبديل» ولذلك فلا يصح أن يوثق بها.

3- الزبور: وقد أنزله الله عز وجل على سيدنا داود كيد يقول تعالى:
2 وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَيُورًا 59) (النساء: 163). 1

وما قيل في التوراة يُقال في الزبور فنؤمن بما أنزل على داود الكلتكلا ولا نؤمن بما دخله التحريف من قبل اليهود.

4- الإنجيل: وقد أنزله الله تعالى على سيدنا عيسى الك يقول تعالى:
قِينَا ك كم بمبتى أن ميم مُصَدَا ك لما ب يَدُه بن لِرَ وَدَانُ جِيل فِيد هُدَى
4 (المائدة: 46) والإنجيل الذي نؤمن به أيضاً هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على عيسى الك باصوله الصحيحة الأولى» أما الأناجيل الحالية الموجودة عند أهل الكتاب فلا يعرف لها سند متصل يصح نسبتها إلى عيسى الكايكلا.

5- القرآن الكريم: وقد أنزل على سيدنا ونبينا ورسولنا محمد بن عبد الله

قِيَّةُ ويمتاز القرآن الكريم بالمزايا التالية:

أ- أنه تضمن خلاصة التعاليم السابقة من توحيد الله وعبادته ووجوب طاعته.

ب- جمع ما كان مفرقاً في الكتب السماوية السابقة من الحسنات والفضائل

وجاء مهيمناً ورقيباً يُقرأ ما فيها من حق ويبين ما دخلها من تحريف.

ج- أنه جاء بشريعة لجميع البشر نسخ بها الشرائع السابقة» وأثبت فيها

الأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان.

د- أنه نزل على الرسول # لَ لِلنَّاسِ كَافَّةً.

صفحة 227

ه- أن الله تكفل بحفظه. ولذلك فهو الكتاب السماوي

الوحيد الذي لم يدخله

تحريف ولا تبديل. (1) يليه

رابعاً- الإيمان بالأنبياء والرسل:

ومعناه الإيمان الجازم بجميع الأنبياء والرسل سواء من سماه الله منهم لناء أو لم يسمَّه لنا.

يقول تعالى: + وَلَمَدَ أَرْسَلْنَا رُسُلًا يَن مَّيْكَ نِير كَن قَصَا لَكَ وَمِنْهُمْ مَن لَم تَنْسَسَ عَكَ لَكَ (غافر: 78).

الفرق بين النبي والرسول:

النبي هو: عبد اصطفاه الله بالوحي إليه ولكنه قد يؤمر بالتبليغ وقد لا يؤمره فإن أمر بالتبليغ كان نبياً ورسولاً وإن لم يؤمر بالتبليغ فمهمته في هذه الحال والفتوى بشريعة رسول سابق له.

الرسول هو: عبد اصطفاه الله بالوحي إليه وأمره بالتبليغ.

والاصطفاء بالنبوة سابق على الاصطفاء بالرسالة» يقول تعالى: + (وَكُم أَرْسَلْنَا يَن بِي فِي الْآيَةِ (5) 4 (الزخرف: 6): ولذلك فالرسول أعم من النبي؛ والنبي

أخص» فكل رسول نبي» وليس كل نبي رسولاً.

ويؤيد هذا الفرق أدلة كثيرة منها الأحاديث التي تفرق بين عدد الأنبياء وعدد الرسل عليهم السلام. (2)

2 سد

١

١ عسبد الرحمن الميداني» المرجع السابق ص470- وما بعدها.

عبد الرحمن الميداني؛ المرجع السابق ص266-267.

7؛ محمد نعيم» المرجع السابق» ص65

0

--20909

صفحة 228

صفات الرسل والأنبياء:

من أبرز صفاتهم ما يلي:

1 - الفطنة والذكاء: فحمل الرسالة وتربية الناس وقيادتهم يحتاج إلى فطنة وذكاء.

2- العصمة عن المعاصي. فالرسول هو المثل الأعلى في أمته فيجب أن يكون قدوة للناس.

3- لا يتعرضون للأمراض المنفرة.

4- جميعهم من البشر.

5- جميعهم من صنف الذكور فلم يختار الله عز وجل رسله وأنبياءه من الإناث.

وظائف الرسول:

1- البلاغ: فأول وظيفة للرسول تبليغ الشريعة الربانية للناس» يقول تعالى: >١ « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» (المائدة: 67).

2- البيان: وذلك بتبيين معاني النصوص التي أنزلت إلى الناس» يقول تعالى: لَ وَآرَأَيْتَ لَكَ لِين ديس مَا ل لم وَلَلْمُ تَكَرَّت (2) « (النحل:

(44).

- 3- هداية أمته إلى خير ما يَعْلَمه لهم: وإنذار شر ما يَعْلَمه لهم, وقد أوضح رسول الله هذه الوظيفة فقال: "إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل على خير ما يَعْلَمه لهم» وينذرهم شر ما يَعْلَمه لهم". (0)
- 4- تربية الناس على منهج الشريعة الربانية وتأديبهم بآدابها وهدايتهم.

5

يقول تعالى: + أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ مَه فِيْهُدٰنَهُمْ اَآنَسِدِهٖ ۝ (الأنعام: 90).

إل أخرجه مسلم في صحيحه (1844). والنسائي في سننه الصغرى (4196): وابن ماجة سننه (3956).

صفحة 229

الإيمان بمحمد وكا

يجب أن نؤمن تجاه محمد بن عبد الله قن بما يلي:

- 1- أنه نبي الله ورسوله؛ ومبعوث للناس أجمعين.
- 2- أنه خاتم الأنبياء والرسل؛ فلا نبي ولا رسول بعده.
- 3- أنه أفضل الخلق والمرسلين؛ وإمام المتقين.
- 4- أن محبته تقدم على محبة الوالد والولد والنفس.
- 5- أن الله قد أيدته بالمعجزات الدالة بيقين على صدقه 5ق في كل ما جاء؛ وكل من لا يؤمن بشيء بهذا فلا يُعد مؤمناً. (1)

خامساً - الإيمان باليوم الآخر:

ومعناه الإيمان بكل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه وسنة نبيه مما يكون بعد الموت في فتنة القبر وعذابه ونعيمه والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والشفاعة والجنة والنار. (٢)

وهذا الركن من أركان الإيمان يتطلب منا التصديق بالأمور التالية:

|- حياة البرزخ:

وهي الحياة التي تبدأ بموت الإنسان وتنتهي بالبعث» يقول تعالى: + (عَقَّةَ كَا

0 00

دين كَنَابَهُمْ بَوَكْ يَرْتَج (5) ((المؤمنون: 99-100).

من ورائهم: من أمامهم؛ البرزخ: الحاجز ما بين الدنيا والآخرة.!) وفي هذه
المدة والحياة يمر الإنسان بمرحلة من مراحل الجزاء الرباني بالثواب أو العقاب

(0

60

محمد نعيم؛ المرجع السابق» ص 64-55.

محمد نعيم؛ المرجع السابق؛ ص73

'' نير ابن كثير 241/3-242.

-229-

صفحة 230

فالإنسان في قبره قد يكون في نعيم وقد يكون في عذاب؛ والأدلة على ذلك كثيرة»
منها: قوله تعالى: + أ يُدُّوْا عَلَٰهَا عِدْوًا وَعَٰصِكَا وَيَم قَم لَاع دِلْوًا اَل
فرعو أَسَدُّ الْمَدَآبِ 4 (غافر: 6. ومن ذلك الحديث الذي رواه ابن عباس
عن النبي 8: مر بقبرين فقال: "إنهما ليعذبان» وما يعذبان في كبير» أما أحده
فكان لا يستنزه من البول» وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» ثم أخذ جريدة رطبة
فشققها نصفين» ثم غرز في كل قبر واحدة» قال يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال:
لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا".''

الجريد: سعة من النخل يُجرد عنها الخوص» فإذا جُرِّد عنها صارت
يدة. ©)

وأحاديث عذاب القبر أحاديث متواترة بالمعنى رواها حوالي أربعين صحابي.
وأما كيفية النعيم والعذاب فذلك من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله
القادر على كل شيء.

جو

ب- قيام الساعة وما يلي هذا القيام من أحداث:

ومن ذلك:

1- النفخة الأولى: وهي نفخة ينفخها الملك إسرافيل في الصور فتقوم

الساعة» يقول تعالى: + وَبُيْحَ فِي الصُّورِ مَصْعَقٌ مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الدَّرِزِ إِلَّا مَنْ أَدَّهٖ « (الزمر: 68) وبهذه النفخة ينتهي النظام القائم في الحياة الدنيا .
ووقت قيام الساعة لا يعلمه إلا الله عز وجلء يقول تعالى: 2 يُسَخِّلُكَ النَّاسَ عَنِ

لَمَاءَةٍ لِّ نَمَاهُ مَهَا عِنْدَكُمْ (الأحزاب: 63) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (218) .

(2) عبد الرحمن الميداني؛ المرجع السابق» ص 551.

صفحة 231

ومع طلك فقيام الساعة قريب؛ يقول تعالى: رابكلل امه تك كيبا
(٤) (الأحزاب: 3 يقول 3: 'بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ' مشيراً بأصبعيه
السبابة والوسطى. 17)

2- النفخة الثانية: وهي نفخة ينفخها الملك إسرافيل أيضاً فيبعث البشر من
قبورهم» يقول تعالى: لِّ ثُمَّ نَحْ بِهٖ آخِرَ دَاهِمٍ فَيَا يَرُونَ (٥) ((الزمر: 68) .

ويقول تعالى: 2 بوم رح أَإِتَهُ تَمَهُ ادْفُ () « (النارعات: 6-7) .

قال ابن عباس: هما النفختان» فالراجفة: النفخة الأولى؛ والرادفة: النفخة
الثانية (2)

وبعد هذه النفخة يمر الخلق في مراحل؛ ومن هذه المراحل: (3)

- البعث: فيبعث الله الخلق بالروح والجسد، يقول تعالى: «وَالْوَكَيْمِ انم
له يَجْعُونَ (5) 4 (الأنعام: 36) .

- الحشر: فيحشر الخلق جميعاً لموقف الحساب؛ ويشمل الحشر الإنس والجن
والملائكة وكل دواب الأرض وطيورها» يقول تعالى: 2 وَيَوْمَ يُرْلَبَالُ وَي ارس
ايدہ وحرسہم ناز متهم لسا 00 (4) (الكهف: 47) .

وفي هذا الموقف يصيب الناس كرب شديد فتدنو الشمس من الخلائق؛
ويحشر الناس حفاة عراة رالا - أي غير مختنين- .

'! أخرج البخاري في صحيحه (6503: 6504: 6505)؛ ومسلم في صحيحه (1867: 2951)
والنسائي في سننه الصغرى (1579)؛ والترمذي في سننه (2214)؛ وابن ماجه في سننه
(45. 4040).

تفسير ابن كثير 4/422.

0 عبد الرحمن للميداني: المرجع السابق؛ ص 563-567.

53

صفحة 232

- العرض: فيُعرض الخلق على الخالق يقول تعالى: « وَغَرَضُوا عَلَ رَيْكَ صَمًّا
مُوي كما حَلَفْتُكَ أَوْ لَمَرُؤِيلَ رَعْنَشُ أَلَّنْ لَكَ رُودَا (2) ه (الكهف: 48).

- نصب الميزان: فتُنصب الموازين للأعمال لوزن ما فيها من خير أو شر
يقول تعالى: « وَبَيَّحَ لَوْنِ اطْ بُورِ امَّوْ لَا نَكُمْ نَدَ طَيِّعَا وَنَ كَاتِ يَنَالِ
حَقِّ يَنْ حَرَدَلِ ايسا به وُكُوقِ يَا حَنِييْتِ (20) 4 (الأنبياء: 47).

- المرور فوق الصراط: ويكون بعد موقف الحساب فيمر الناس مؤمنهم
وكافرهم فوق الصراط وهو طريق على متن جهنم؛ فيجتازه المؤمنون إلى جنة
الخلد بسرعات تتفاوت بتفاوت الإيمان والأعمال الصالحة» والخاسرون تجذبهم
كلاليب جهنم فيسقطون فيها أعاذنا الله منها يقول تعالى: 7 ون تكذ إاوارهاك
عَلَّ وَئِكَ حَنَمًا مَقْصِيًّا (9) ثم شب أن أنهوا ودر ايت هَبَا حِنِيًّا 59 4 (مريم: 71-
(2).

- الجنة والنار: وهذه المرحلة الأخيرة التي يتم فيها الثواب الأكبر والعقاب
الأكبر. وأما الجنة فتواب الله للمؤمنين والمسلمين له» وأما النار فمئوى الك
بالله والمتكبرين عن طاعته وعبادته» يقول تعالى: + (كَأَمَّا أَن سَعُوا مِنِّي النَّارِ

ماع دي 54

ددر وَعَهِيْقُ (3) حَلِيرْتِ وَبَا مَا دَامَتِ اتوت وَآلْدَرْسُ إِلَامَا صَّة مَيْكَ إِنَّ يَكْ مَا لَ نَا

ريد 2 :# وما اين شَهِدُوا دن لبس حَدَنَ امامت أَلتَّكُوْثِ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا سَلَّ رِيكَ
عَطَّةَ غَيْرَ تَعْدُوْر (3) © (هود: 106-108).
أدلة البعث والنشور:

هناك من الناس من ينكر البعث والنشور ويرى استحالة إعادة الإنسان إلى
الحياة بعد أن أصبح تراباً وقد أورد الله عز وجل إنكارهم هذا في قوله تعالى
نَا مَا وَيَّيْ عَلَفَةَ هَال مِنْ بَحِ الْيَكْلِ وَضَرِيكَ () 4 (يس: 78) وقوله
تعالى: + وَدَا نَاكَارَ لِيكَ رَعْمَبِيْدُ (2) 4 (ق: 3).

وضرب

صفحة 233

وقد تولى القرآن الكريم نفسه الرد على هذا الإنكار بالأدلة التالية:

أولاً: إن الذي خلق الإنسان أول مرة قادر على إعادته مرة أخرى يقول
ملئ: ملئها لزرع أنتأها أي مَرُومَوِيْجٍ حَيِّ يَطُ © () (يس: 79).

ويقول تعالى: + [عَسَمَوْنَ مِنْ آلِ أَلِي مَكَّيْل رَز (الإسراء: 51)].

ثاني: إن الذي أخرج النار ذات الإحراق من شيء مضاد لها وهو الشجر
الأخضر المليء بالرطوبة والبرودة قادر على أن يخرج الحي من الميت؛ يقول
تعالى: كل نياما العا أنتأها أَل مَرُومَوِيْكَ حَلَقٍ عَل © اذى جل لكر مح
لج رِالْخَصْرِ تَن قِيَادَا نَر مِّنْدُ وِدُون () 4 (يس: 80-79).

ثالثاً: الاستدلال بالأعلى على الأدنى» فخلق السموات والأرض أعظم من
خلق الناس» كما قال تعالى: ج ولس الى حَلَقَ أَلْتَّمُوْ وَالْأَرْضُ يَقْدِيْرِ عَل أَنْ يَدُق
لَهُمْ بَلَوَالْنَ لِير 000 « (يس: 81).

وكقوله عز وجل: + لَحَلَقُ أَلْسَمَوَتِ وَالْأَرْضِ أَحْكَبُرُ مِنْ خَلْقِ الْإِن (غافر):

57

رابعاً: أشارت آيات قرآنية كثيرة إلى أن الحكمة من خلق الإنسان هي
لعبودية التي هي ابتلاء واختبار له. قال تعالى: + (وَمَا عَلَّنْتُ لِيْن لَانِنْ إِلَّا يَتَنَثَرِ
26 (الذاريات: 56) والتكليف بالعبادة يقتضي أن يحاسب كل إنسان على ما قدم.
فهذا هو مقتضى العدل الذي اتصف الله تعالى به؛ وما دام الإنسان لا يحاسب على

مله في الحياة الدنيا فالعقل يحكم بوجود يوم يحاسب فيه الناس على ما قدموا
وهذا هد اليوم الآخر الذي أخبرنا الله عز وجل عنه؛ وطلب منا الإيمان به. (1)

م ع

311 يبذ السلام محمد وآخرون؛ دراسات في الثقافة الإسلامية» ص203-205.

-233-

صفحة 234

سادساً - الإيمان بالقضاء والقدر:

ومعناه: الإيمان بعلم الله عز وجل بما تكون عليه الأشياء في المستقبل»
والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة على إيجاد هذه الأشياء بناءً على
العلم.

ولذلك عندما سل الإمام أحمد بن حنبل عن القدر أجاب: "القدر قدرة الله"
أي: ما قرره الله سبحانه أولاً بالأشياء قبل وجودها.

وبناءً على ذلك فإن الإيمان بالقدر يتضمن المراتب الأربعة التالية:

المرتبة الأولى (العلم): وهي: الإيمان بأن الله تعالى يعلم مسبقاً كل شيء
جملة وتفصيلاً أولاً وأبداءً ومن جملة ذلك يعلم أعمال العباد قبل أن يعملوها.

المرتبة الثانية (الكتابة): وهي الإيمان بأن الله تعالى كتب ما سبق به علمه
من مقادير الخلق في اللوح المحفوظ إلى يوم القيامة» يقول تعالى: + وَيَلِّ شَيْءٍ
لَّخَصْبَتُهُ فِ إِمَارِ تَيْنِ) * (يس: 12).

المرتبة الثالثة (المشيئة): وهي الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة
فما شاء كان» وما لم يشأ لم يكن» وأنه لا حركة ولا سكون إلا بمشيئته تعالى.

يقول تعالى: + وما تَمُو إِلَّا أَنْ يَمَهُ رَّبُّ الْعَلِيَّةِ (2) « (التكوير: 29).

المرتبة الرابعة (الخلق): وهي الإيمان بإيجاد الله تعالى لكل المخلوقات؛ وأن
الخالق» وكل ما سواه مخلوق مُوجد من العدم؛ كائن بعد أن لم يكن» ودل على هذا

قوله تعالى: « أَنه خَلَقُ كلَّ شَيْءٍ * (الزمر: 62).

ومن جملة ما خلقه الله تعالى أفعال العباد كلها الطاعات والمعاصي ودل على ذلك الآية الكريمة السابقة: « أَنَّهُ حَقُّ مَكلِّ مُو » (الزمر: 62) وقوله تعالى: + (سَه خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ * (الصافات: 17). 96)

() محمد إبراهيم الحمد الإيمان بالقضاء والقدر» ص 65-57 محمد نعيم؛ المرجع ص 127-128.

صفحة 235

وبناء على أن الله عز وجل هو الذي خلق أفعال العباد؛ فهل الإنسان مسير أم مخير؟

بمعنى هل أفعال الإنسان تصدر عنه من غير قصد وإرادة فيكون مسيراً أم إن أفعاله تصدر عنه عن قصد وإرادة فيكون مخيراً؟

إن الإجابة على هذا السؤال بإطلاق توقع في الخطأ ولذلك فقد وقع بعض المسلمين في الخطأ -وربما أخرجهم خطأهم هذا عن إيمانهم- عندما أجابوا على هذا السؤال بإطلاق» ومن هؤلاء المخطئين:

1- القدرية: وهم أتباع معبد الجهني وغيره من المعتزلة» وهؤلاء قالوا: إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة» وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته أثر في أفعاله. وقالوا إن أفعال العباد ليست مخلوقة لله تعالى» وإنما العباد هم الخالقون لولعلاهم ينكرون أن يكون الله قد علمها فيجدون مشيئة الله وقدرته نافذة.

2- الجبرية: وهؤلاء قالوا إن الله تعالى هو الفاعل الحقيقي لأفعال العباد» فالعبد لا حرية له ولا فعل» فهو كالريشة في مهب الريح» وبالتالي اتهموا الله وجل بالظلم وتكليف العبد بما لا قدرة له عليه. (!)

- عقيدة أهل السنة والجماعة: إن عقيدتنا في هذا الموضوع أن الإنسان مخير باعتبار ومسير باعتبار» فهو مخير باعتبار أن له مشيئة يختار بهاء وله يفعل بهاء والأدلة على ذلك كثيرة؛ منها قوله تعالى: + هَمَن سَه هَلِئُومِنَ وَمَن مَه كر 4 (الكهف: 29) وهو مسير باعتبار أنه في جميع أفعاله داخل في القدر داجع إليه فلا يخرج في تخيره عن قدرة الله تعالى» يقول تعالى: + (هُرَأَيَّرِ ي فار « (يونس: 0). 222©

محمد الحمدة المرجع السابق ص165-167.

محمد الحمدة المرجع السابق ص129-132.

52555

صفحة 236

خصائص النظام العقدي:

لنظام العقدي خصائص يمتاز بهاء وهي ذاتها خصائص العقيدة الإسلامية»

ومن أهمها: (2)

1 - موافقته للعقل والفطرة.

2- الشمول: فالنظام العقدي شمل الإله والكون والإنسان والحياة.

3- صلاحيته للبقاء والخلود.

4- دعوته للأخلاق والقيم.

5- نظام عقلي وعاطفي وعملي: فالعقيدة هي التي دفعت العرب إلى تحرير

العالم من الظلم؛ فهم تبناوا هذه العقيدة على أنها إيمان بالعقل والقلب.

6- الإيجابية: فالعقيدة أنتجت حضارة علمية وتجارية وزراعية عمّرت العالم

بعد أن كان على شفا الانهيار والخراب.

آثار النظام العقدي:

أولاً- أثر العقيدة الإسلامية على الفرد:

للعقيدة الإسلامية آثار كبيرة؛ ونتائج إيجابية في حياة الفرد» ومن أهمها:

1 - تحرير النفس من جميع أنواع العبودية لغير الله تعالى. قال تعالى: « ولا

نَعُ من دون الله ما لا يَمَمُّ ولا يرون ملت لك دا من أن © 4

(يونس: 106).

2- الإخلاص في العبودية لله تعالى؛ قال تعالى >مُلِّنْ أَيْرُتْ آن آَعْبَدَهه نِيصَالَه

لين 0 < (الزمر: 11).

3- الطمأنينة والسكينة ورفع المعنويات» قال تعالى 2 الدِن مِثا وَتَطَمَيْتْ

ع د د قم و

مُوبهم يذُكر الله ألا , نكر أنه تَطَمِينُ قوب (5) « (الرعد: 28).

(') محمد المبارك نحو إنسانية سعيدة» ص138-145.

+ - الاستقامة والمسؤولية أمام الله تعالى» قال تعالى « قد هدم وأَسْتَقِمَّ كما ليرت ائبع هوم) (الشورى: 15) .

5- الكرامة وعزة النفس؛ قال تعالى « وله أَلَمِرُّهُ وَرَسُوبه - وَلِلْمُؤْمِي وَلَكِنِّ لُمُتَفَقِي لَايَعْلُمُونَ (2) » (المنافقون: 8) .

6- التواضع والرحمة؛ قال تعالى + لَمَدَّ1سَكُم رَسُوك_- يَنْ أَشْرُكُ غير عليه مامد ريل ليحك بالؤيت يكو تيب 0 4 (التوبة: 128) .

7- تحرير القلب من كافة الأمراض الاجتماعية وفي مقدمتها الحقد والحسد» قال تعالى « وَالسَّتْ آمو ين يَحْدِهِم يَتَوْت وَبَا أَفِير لكا وَيَحْفَوِيَا ل سَبْقُرْنَا الاين ولا يُمَلُّ في فُلُونَا ل لَيْنَ "اموا مبناً إِنَّكَ رَمُوتُ يَحِم 5 « (الحشر: 10) .

8- غرس الشجاعة والقناعة والرضا بالأقدار: قال تعالى + الدِّينَ اموا حاجنا مهداً فى سَيِّلِ أَشْ عوطم وشيم طم دَرِيْدُ عِنْدَه وليك غُر ليروك (9) « (التوبة: 20) .

ثاني- أثر العقيدة الإسلامية على المجتمع:

للعقيدة الإسلامية آثار قيِّمة على المجتمع؛ ومنها: أنها تنشئ مجتمعاً يقوم على المحبة والأخوة والتراحم؛ والوحدة» والتعاون على الخير والمعروف والبر والتقوى. قال تعالى: + وَإِنَّ مَذُودَ أَتَذَكَّرْ مه وده وأا ركم فون (5) 4 (المؤمنون:

2 وقال تعالى + وَتَاوَاَعْلَ ار وَالْمَوَّ وَكَانْدُووَأَعْلَالِيْ عِدُون # (المائدة: 2) .

-237-

المبحث الثاني
النظام الاجتماعي

مفهومه :

تعددت مفاهيم النظام الاجتماعي واتجاهاته عند العلماء» ويمكن حصرها في مفهومين هما:

1 - المفهوم العام للنظام الاجتماعي:

وهو مجموعة الأحكام والمبادئ التي شرعها الإسلام لتنظيم علاقة الإنسان بغيره في جميع مجالات الحياة سواءً أكانت أسرية أم سياسية أم اقتصادية أم غير

2- المفهوم الخاص للنظام الاجتماعي:

وهو مجموعة الأحكام والمبادئ التي شرعها الإسلام لتنظيم الأسرة بدءاً من تكوينها بالزواج وانتهاءً بتفريقها بالطلاق أو الموت وما يترتب على كل مرحلة من مرحلتها البدء والانتهاء؛ وما بينهما من حقوق وواجبات وآثار. وهذا هو مفهوم نظام الأسرة في الإسلام.

وأصبح يطلق على الأحكام المتعلقة بتنظيم الأسرة في الإسلام في أواخر القرن التاسع عشر أحكام وقانون الأحوال الشخصية.!

أسسه ومقوماته:

يقوم النظام الاجتماعي في الإسلام على الأسس التالية: (2)

1 - وحدة الأصل والمنشاء قال تعالى + يا لاس انها ريك ألدی حلفي من تفن

وعد 4 (النساء: 1).

(') محمد النبهان» مبادئ في الثقافة الإسلامية ص192.

(محمود السرطاوي وآخرون نظام الإسلام, ص 209.

صفحة 239

2- المودة والرحمة. قال تعالى ب) وَمَنْ مِّوْءَ أَنْ مَلَقَ لَكَرِينِ أَنْشِيكَ أَرْنِي
يَكُونَا إِلْنَهَا وَحَعْلُ يَكْم موده يعر) (الروم: 21).

3- العدل والمساواة. قال تعالى (وَكَانَ لَ إِلَى عَلَوْنَ لَوْنِ ©) (البقرة: 8).

4- التكافل الاجتماعي. قال تعالى جَزَ وَمَاتِ ذَا الْمَرْقَ حَنْدَ 4 (الإسراء: 26).

ويضاف إلى ما سبق أن النظام الاجتماعي الإسلامي يستمد جميع مقوماته من القرآن الكريم والسنة النبوية.

ويعد النظام الأسري من أهم وأقدم النظم الاجتماعية؛ وقد كانت الأسرة عند العرب الجاهليين تعتمد على ثلاثة أشياء هي (النسب والادعاء والحلف). (0)

الأسرة في الإسلام:
الأسرة لغة واصطلاحاً:

لغة: مشتق من أسر يأسر أمثراً وإساراً وهو القيد والحبس والاستسلام والإحكام. والأسرة هي الدرع الحصين؛ وأهل الرجل وعشيرته.»

وجاء التعبير عن ذلك بالأسرة» كون الفرد غالباً يقيد نفسه ويحبسها على أهله وعشيرته. ومصادق ذلك المشكلة التي ما تزال قائمة حتى يومنا هذا وهي مشكلة العصبية القبلية» والنصرة العشائرية؛ التي تحكي حياة العربي الجاهلي قبل الإسلام الذي كان يعلن ولا أعمى لأسرته وقبيلته» يفوق الولاء القومي والديني.

وتقوم الأسرة في الإسلام على أساس (القرابة والرحم والنسب والمصاهرة).

اصطلاحاً: هناك نوعين من الأسر في الإسلام:

١- الأسرة النووية (الصغيرة): وتتكون من الزوجين والأولاد فقط.

لل 55

مرسى إبراهيم: المرجع السابق ص102.

ابن منظور، المسابق؛ ومجمع اللغة العربية؛ المصدر السابق؛ مادة (لسر).

صفحة 240

2- الأسرة الممتدة (الكبيرة): وتضم أقارب الزوجين.(!)

فالأسرة في الإسلام تطلق على مجموع الزوجين وأصولهما وفروعهما وتشمل الأولاد والأجداد والجداة والأعمام والعمت؛ والأخوال والخالات.

ولم يرد لفظ (الأسرة) - بالمعنى الاصطلاحي- في القرآن الكريم؛ وإنما تم التعبير عنه بمصطلح (الأهل) قال تعالى + (وَإِنْ حِفْظُ شَقَاتٍ يَنْمَ تَأْبَمْعُوا حَكَمًا مِ

أَهْو- وَحَكَمَا مِّنْ أَهْلَةٍ إِنْ يَرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَوِّدُ أُمَّهُنَّ 1 * (النساء: 35)؛ وقوله تعالى (وَأَمَّا مُمْكُكَ بِالصَّلَاةِ وَاسْطِرْزُوعِكَيَا » (طه: 132).

وقد بدأت الأسرة في الإسلام مع أول مجتمع عرفته الأرض (آدم وزوجته وأولادهما) فأسرة آدم أي هي الأسرة الإسلامية الأولى» ومنها نشأت الأسر الأخرى قال تعالى + (هُرِّأَلَيْسَ لَكُمْ يَنْ تَقِ وَجِدَوْ وَجَعَلَ مِنْهَا وَجَهَا سَكَنَ يَا " (الأعراف: 189).

الاهتمام بالأسرة والعناية بها:

اهتم الإسلام بالأسرة اهتماماً خاصاً وبالغناء لأنها تشكل اللبنة الأولى في بناء المجتمع الإسلامي» وهي المحض الأساسي لتربية الطفل ورعايته.

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بالأسرة:

1- حث الإسلام على الزواج والترغيب فيه. وهو من أهم مقومات الأسرة في الإسلام.

قال تعالى: «فَأَدِكَمَا مَاطَابَ لَكَ يَنْ يَسْكُ مَقِ وَتَلَّتْ وَرُكَّعَ * (النساء: 3).

ونهى عن ترك الزواج مخافة الفقر يقول تعالى 2 وَآنكِحُوا الْأَبْيَتَكُمْ (النور: 32).

(!) عبد الرحيم عمران؛ تنظيم الأسرة في التراث الإسلامي؛ ص20.

صفحة 241

والأيام: جمع أيام» وهي المرأة التي لا زوج لها سواء أكانت ثيباً أم بكراً وكذلك تطلق الأيام على الرجل. (1)

وقد عالجت سورة النور على وجه التحديد أزمة الزواج لدى الجنسين. (2)

وكذلك حضت السنة النبوية على الزواج؛ ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج» ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء). (الباءة: هي القدرات المادية والجنسية والجسمية.

2- الإغلاء من شأن الرابطة الزوجية وتقديسها حتى سماها القرآن الكريم ميثاقاً غليظاً «وكشّرت منحكم يفا عيضا (5) (النساء: 21)».

وليس أدل على ذلك من ترك البنت أسرتها التي عاشت فيها لفترة من الزمن» ورضيت أن ترتبط بشاب قريب أو غريب يكون زوجاً لها وسترّاً عليها فهي لا تقدم على ذلك إلا وهي واثقة بأن تكون صلتها بزوجها أقوى من كل الروابط.

3- اختصاص عقد الزواج وانفراده ببعض الأحكام والآداب دون سائر العقود فقد شرع الإسلام خطوات مهمة قبل الإقدام على الزواج» ورتب حقوقاً وواجبات بعد الإقدام عليه؛ وشرع أحكاماً وإجراءات إصلاحية عند الخلاف والشقاق بين الزوجين. وظائف الأسرة:

للأسرة في الإسلام وظائف عديدة وأهداف نبيلة» حرص الإسلام على تحقيقها وهي ذاتها الحكم التشريعية للزواج؛ ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

(') الفخر الرازي التفسير الكبير» ج23؛ ص210.

(©) خالد إبراهيم الفتيا ني؛ التفسير الإعلامي لسورة النور ص115-110.

(أخرجه البخاري في صحيحه (1905: 5065: 5066)؛ ومسلم في صحيحه (1400)؛، والترمذي في سننه (1081). والنسائي في سننه الصغرى (2241)؛ وأبو داود في سننه (2046)؛ وابن ماجه في سننه (1845).

-241-

صفحة 242

1- التنظيم الجنسي: فالزواج هو الطريق الشرعي الوحيد لتنظيم الغريزة الجنسية» لذا حث الإسلام عليه ورغب فيه.

2- التناسل والإنجاب: فقد أشار القرآن الكريم والسنة النبوية إلى هذه الوظيفة» والتي لا غنى للأسرة عنها قال تعالى: + (وَأَنَّهُ جَعَلَ كَم مِّنْ شَيْءٍ زَيْمًا يَحْعَلَ لَكَ مِنْ أَرْوَحِكُمْ بَيْنَ وَحَنَدَةٍ (النحل: 72).

كما دعت السنة النبوية إلى الزواج من التي يتوقع منها الإنجاب» ونهن عن

زواج العقيم» قال #يُكُ: (تزوجوا الودود الولود فإنني مكاثر بكم الأمم). (!)

3- التنشئة الاجتماعية: فتعاون الزوجين في بناء الأسرة وتربية الأولاد أمر ضروريء كل ضمن اختصاصه: فالزوجة تشرف على البيت» والزوج يسعى للعمل خارجه وتربية الأولاد مسؤولية مشتركة بينهما.

4- الوقاية من الأمراض والحماية من الانحلال الخلقي: فالزواج سبيل آمن من الانحلال الخلقي؛ والتفسخ الاجتماعي» ويصون الأمة أفراداً وجماعات من الأمراض السارية الفتاكة التي تنتشر بسبب الزنى» وشيوع الفاحشة.

5- المودة والرحمة والسكينة والطمأنينة: فقد أقام الإسلام العلاقة بين الزوج والزوجة على صفتين جوهريتين هما:

المودة والتي تجمع معاني (الحب» الصداقة» الصلابة) والرحمة والتي تشمل معاني (التفاهم» العفو» الاحتمال) تحت إطار الهدف العام وهو السكينة والطمأنينة. قال تعالى: + (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ ذَكَرًا مِّنْ أَنسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا لَهَا وَحَعَلَ بَيْنَهُنَّ بَرَاجًا مِّنْ بَيْنِهِمْ لِيُخَفِّفُوا عَنْهُمْ حِزْنَهُمْ وَنَحْسَهُمْ وَلِيَسْكُنُوا سُبُلَهُمْ وَتَجْزِيَ رِجَالُهُمْ عِندَ رِجَالِهِمْ وَمِنْهُ لَكُنْيًا وَرَأْفَةً وَالْعِزَّةُ وَالْكَرَامَةُ (5) (الروم: 21).

ومن الواضح أن هذه الآية لم تشر إلى الأطفال ولا إلى عملية الإنجاب؛ الأمر الذي يؤكد أن (السكينة) هي الغرض العام من الزواج؛ وهذا من العدل حيث (0) أخرجه أبو داود في سننه (2050)؛ والنسائي في سننه الصغرى (3229). واللفظ

صفحة 243

يمكن لكل الأزواج الوصول إلى السكينة؛ والمودة والرحمة» بيئما لا تتوافر الخصوبة لكل الأزواج. (1)

6- الوظيفة الاقتصادية: فالأسرة إذا أرادت البقاء والاستمرار فعليها ممارسة نشاط اقتصادي يوفر لها حاجاتها الأساسية التي تضمن بقاءها فالأسرة تتكون من الرجل والمرأة» ولكل منهما وظائفه التي لا يمكن لأحدهما أن ينوب عن الآخر

الزواج في الإسلام:

تعريفه: هو العقد الذي يبيع لكل واحد من الزوجين حق الاستمتاع بالآخر على الوجه المشروع: (2) وما يترتب على هذا العقد من حقوق وواجبات وآثار. حكمه: تنوع حكم الإسلام في الزواج بتنوع حال الإنسان من حيث خوف العنت؛ واختلاف قدراته على الزواج فيكون: (3)

- 1- واجباً: لمن يمتلك القدرات؛ وتاقت نفسه إليه؛ وخشي الوقوع في الحرام.
- 2- مندوباً: لمن يمتلك القدرات» وتاقت نفسه إليه» ولم يخش الوقوع في

الحرام.

- 3- حراماً: إذا أدى إلى الحرام؛ كأن يكون سبيلاً إلى ظلم الزوجة» أو الإضرار بهاء بعدم تأدية حقوقها.

- 4- مكروهاً: لمن يمتلك القدرات» ولا يخشى على نفسه الوقوع في الزنى إن لم يتزوج ولكنه يظن أنه سيظلم زوجته؛ ويسيء إليها.

(' عبد الرحيم عمران؛ المرجع السابق» ص20-21.

- (محمد محي الدين عبد الحميد الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية ص8.
- (7) محمد أبو زهرة؛ الأحوال الشخصية؛ ص22-23.

-243-

صفحة 244

حق المرأة في الزواج:

كفل الإسلام للمرأة حريتها وحققها في التعبير وإبداء الرأي بالزواج ممن ترغب لأن الإكراه يبطل العقد ولذلك منع الإسلام الأولياء من التعسف والاستبداد في تزويج بناتهم أو أخواتهم بغير رضاهن سواء كن ثيبات أو أبكاراً وهذا يدل دلالة قاطعة عن قدسية عقد الزواج.

روي عن خنساء بنت خدام الأنصارية أن أباه زوجها وهي ثيب» فكرهت ذلك فأتت رسول الله وه فرد نكاحها!). أي أبطله.

:وعن ابن عباس رضي الله عنهما - أن جارية بكرأ أتت النبي # فذكرت أن أباه زوجها وهي كارهة فخيرها النبي يك ©

ورفض البنت الزواج ممن تكره لا يعد عقوقاً للوالدين» بشرط أن يكون الزوج كفؤاً للزوجة؛ ولا يجوز للبنت أن تخالف أباه بالزواج ممن لا يراه كفتاً

ويكون إبداء الرأي من الثيب بالاستئثار (الاستنطاق)» ومن البكر بالاستئذان (السكوت) لحيائها من التصريح.

قال هُنَّ: (لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن؛ قالوا: يا رسول الله: كيف أذنّها: قال: أن تسكت).60

الخطوات التي تسبق عقد الزواج:
أولاً- الاختيار 1

حث الإسلام على حسن الاختيار في الزواج سواءً أكان من جهة الزوج أم من جهة الزوجة؛ ويلزم كل من يريد الإقدام على الزواج التروي وعدم الاستعجال»

00 أخرجه البخاري في صحيحه (5138 : 6945 : 6969) « والنسائي في سننه الصغرى (0
0 أخرجه أبو داود في سننه (2096).

0 أخرجه البخاري في صحيحه (5136 : 6970) « ومسلم في صحيحه (1419). « والترمذي
سننه (1107) « والنسائي في سننه الصغرى (3269)؛ وأبو داود في سننه (2092) «: «
ماجة في سننه (1871).

صفحة 245

والذي غالباً ما يعقبه الندم» فليس المطلوب هنا الاختيار فحسب ولكن المطلوب
اختيار الأحسن والأفضل والذي يكفل للدسرة الاستقرار والاستمرار.

وأسس الاختيار في الإسلام تقوم على الدين والخلق؛ يقول ويك: (تنكح المرأة
لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاطفر بذات الدين تربت يداك). (1)

ومعنى (تربت يداك) خسرت وفقرت وكأنها التصقت بالتراب» وهنا لا بد
من تقدير المحذوف في اللغة العربية وهو (إن لم تطفر بذات الدين) وعند التطب
اللفظي على الحديث يصبح اللفظ كالتالي: خسرت يداك إن لم تطفر بذات الدين.
ويقول #ك: (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه» فزوجوه؛ إلا تفعلوا تكن فتنة
في الأرض وفساد عريض). (2)

ويجوز للمرأة أن تهب نفسها لمن وجدت فيه الكفاءة للزواج» ولا حياء في ذلك.

كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي مُه فقالت عائشة: أما
تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل؟ فلما نزلت + (# وى من كككة متهن «4

(الأحزاب: 51) « قلت: يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. (39) رضاك.

وكذلك يجوز للرجل أن يعرض ابنته أو أخته على أهل الخير والصلاح والتقوى بهدف الزواج. فقد عرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة حين تأيمنت على

عثمان وأبي بكر -رضي الله عنهم أجمعين- ثم تزوجها رسول الله ﷺ (

يبي

') أخرجه البخاري في صحيحه (5090)؛ ومسلم في صحيحه (1466) « والنسائي في سننه الصغرى (3232)؛ وأبو داود في سننه (2047)؛ وابن ماجه في سننه (1858) « واللبخاري ومسلم.

أخرجه الترمذي في سننه (1084)؛ وابن ماجه في سننه (1967) واللفظ للـ
ا أخرجه البخاري في صحيحه (5113).

(أخرج الرواية بتمامها البخاري في صحيحه (4005: 5122) « والنسائي في سننه ا (3250).

-245-

صفحة 246

ثانياً - الخطبة:

لغة: بكسر الخاء؛ هي طلب المرأة للزواج.(!)

اصطلاحاً: طلب الرجل الزواج من امرأة خالية من الموانع الشرعية» تلميحا أو تصريحاً ويمهل الرجل فترة من الوقت للرد عليه بالقبول أو الرفض.

والخطبة مباحة شرعاً ولا يترتب عليها أي التزام قانوني سوى الالتزام الأدبي الشرعي بعدم الخطبة على الخطبة؛ وهذا من المقاصد الحاجية في التشريع الإسلامي.

ومن متطلبات الخطبة:

أ- التعارف: فيتعارف كل من الخاطب والمخطوبة على الآخر بكل ما تحمله الكلمة من معنى حتى لا يقع الغش والخداع بين الناس؛ ومن شأن التعارف أن يجعل كل من الخاطبين أن يقدموا على عقد الزواج أو يحجما عنه.

ب- النظر والرؤية: فيشرع لكل من الخاطب والمخطوبة رؤية الآخر والنظر المشروع هو الذي يكون إلى الوجه والكفين» أما الوجه فلأنه مجتمع الجمال؛ وأما الكفان فللدلالتهما على الخصوبة.

عن أبي هريرة 5 قال: كنت عند النبي ﷺ له فاتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله 8 (أنظرت إليها؟) قال: لا قال: (اذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً). (٥)

وقوله # يُكُّ للمغيرة بن شعبة نه عندما خطب امرأة: (أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما). (١٠)

(١) مجمع اللغة العربية؛ المصدر السابق. مادة (خطب).

أخرجه مسلم في صحيحه (1424).

(١) أخرجه الترمذي في سننه (1087) وقال عنه: حسن، وابن ماجه في سننه (1866)

صفحة 247

ج- عدم الخلوة بالمخطوبة: بما أن الخطبة وعد بالزواج» ولم يتم بعد عقد الوعد فتبقى المخطوبة أجنبية عن الخاطب تحرم بينهما (الخلوة). أما الجلوس بوجود المحارم فلا بأس في ذلك.

يقول النبي 5 أك: "لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم". (١)

د- لا يجوز لشخص آخر أن يخطب امرأة مخطوبة لغيره؛ يقول النبي هك: 'ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك'./

والحكمة من التحريم سد باب الحقد والبغض بين المسلمين» والحرمة هنا ديانة» أي من حيث الإثم الأخروي أما قضاء فلو خطب رجل امرأة مخطوبة لغيره غير معقود عليها فالخطبة صحيحة ولو عقد عليها هذا الخاطب الثاني فالعقد صحيح:

هـ - خضوع كل من الخاطب والمخطوبة للفحص الطبي - قبل إجراء عقد الزواج- الذي يؤكد سلامتهما من العقم والأمراض الوراثية .
الأحكام المترتبة على عقد الزواج:

إذا استكملت جميع الإجراءات التي تسبق عقد الزواج نلجأ بعد ذلك إلى إجراء عقد الزواج توثيقاً كتابياً رسمياً وهذا إعلان من الزوج والزوجة ببدء الحقوق والواجبات المترتبة على هذا العقد وهي على النحو التالي:
أولاً- الحقوق المشتركة بين الزوجين:

1- حسن المعاملة والمعاشرة: فيجب على الزوج والزوجة احترام الآخر»
وحسن معاشرته؛ قال تعالى: + وَعَايِرُوهُنَّ الْمَعْرُوفِ فَإِنَوَّهْتُمُوهُنَّ مِمَّا أَن مَكَرَهُوا
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم أَنَّهُ فِيهِ حَيٌّ كَبِيرٌ (النساء: 19) وقوله فقك: (لا يفرك مؤمن
مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر). (0)

(') أخرجه البخاري في صحيحه (5233)؛ ومسلم في صحيحه (1341).؛ واللفظ للبخاري
") أخرجه البخاري في صحيحه (5144)؛ والنسائي في سننه الصغرى (3243).
00 أخرجه مسلم في صحيحه (1467).

-247-

صفحة 248

2- الاستمتاع: فلكل واحد من الزوجين أن يستمتع بالآخر بجميع أنواع
الاستمتاع التي أباحها الإسلام.

3- الستوارث: فيرث كل من الزوجين الآخر في حالة الموت؛ إلا لمانع
شرعي وذلك حسب الفروض المقدرة في القرآن الكريم.

4- حرمة المصاهرة: فلا يحل للزوج أن يتزوج من أصول زوجته أو
فروعها وكذلك الزوجة لا يحل لها أن تتزوج من أصول زوجها أو فروعها.

5- ثبوت نسب الولد بينهما .

6- حفظ أسرار الزوجية .

ثانيا - حقوق الزوج (واجبات الزوجة):

1- الطاعة: فيجب على الزوجة طاعة زوجها في غير معصية؛ وهذا من

مقتضيات قوامه الرجل على المرأة؛ قال تعالى 8 الرِّجَالُ كَوُتُوا عَلَى النِّسَاءِ يَمَّا مَصْلُ أَنَّهُ بَنَصَهُمْ عَلَى بَمَضٍ وَيَمَّا أَتَقَفُوا مِنْ أَنْوَلِهِمْ « (النساء: 34) وقوله 58ك: (ل كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها). ()

2- القرار في البيت: قال تعالى 2 وَكَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ 4 (الأحزاب: 33) « فلا يجوز للزوجة أن تخرج من بيت زوجها ولا تسمح لأحد أن يدخل منزله؛ ولا تبني خارج البيت إلا بإذن من الزوج.

3- ولاية التأديب: قال تعالى: > وَالنَّ خَاوُونَ نَتُورَهُ كِيَطُومَرِي وَأَهْجَرُوهَنَ فِي المصتابج وَأَضْرُوهَنَ يَنْ أَلَدَتَسْمُ يَلِ تَخَا عُون حَبِلَايَةِ ا لَهُ كَارَت عِلدا 07 4 (النساء: 34).

') أخرجه الترمذي في سننه (1159)؛ وقال عنه: حسن غريب.

صفحة 249

والتأديب يكون للزوجة الناشئة المتمردة، العاصية لأوامر الزوج؛ وقد بينت الآية الكريمة (وسائل الإصلاح) بين الزوجين عند حدوث الخلاف والشقاق» والتي تشكل في مجموعها ولاية التأديب؛ وهي ثلاث وسائل على النحو التالي:

أ- الوعد بالرفق واللين: بأن يبين لها واجباتها وما يترتب على عصيانها وتمردا من إلحاق الضرر بها وزوجها وأولادها.

ب- الهجر في المضجع: ألا يبيت معها على فراش واحد ولا خارج البيت.

جسب- المضرب غير المُبرِّح: فلا يجوز للزوج أن يضرب زوجته ضرباً مبرحاً لأي سبب من الأسباب.

4- المبادرة إلى فراش الزوج حين الدعوة: قال وَيْلُكَ: (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح). (1!)

5- صيانة نفسها عما يندس شرفها وشرف زوجها: فلا تفعل شيكاً من شأنه أن يبعث الريبة في قلب زوجها وقد أشار النبي لك إلى ذلك في خطبة الوداع فقال: (فأما حقكم على نساءكم فلا يُوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون). (©)

6- المحافظة على مال الزوج: فلا تعطي أحداً منه شيئاً -مما لم تجر العادة إعطائه- إلا بإذنه» سواءً كان ذلك نقداً أو ثياباً أو إطعاماً أو غيره.

الثا- حقوق الزوجة (واجبات الزوج):

1- المهر: قال تعالى: وَآتُوا لَهُ صَدَقِينَ لَه * (النساء: 4) « فيجب على الزوج أن يدفع لزوجته مهرها المعجل كاملاً وقبل الدخول.

0 أخرجه البخاري في صحيحه (3237)؛ ومسلم في صحيحه (1436)؛ وأبو داود في سننه (2141) واللفظ للبخاري.

00 أخرجه الترمذي في كته (3087)؛ وقال عنه حسن صحيح» وابن ماجه في سننه (51)

-249-

صفحة 250

2- النفقة: قال تعالى: « وَعَلَّالُؤُم 4 رهن ومين بالنروف' لا تل تنس إل يها 4 (البقرة: 233).

وتشمل النفقة كل ما ينطبق عليه هذا اللفظ من إعاشة ولباس وسكن وعلاج وتعليم ويراعى في النفقة حال الزوج عسراً ويسراً وقد أشار النبي ويك إلى هذا الحق في خطبة الوداع عندما قال (ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن).⁷ وإذا خرجت المرأة للعمل دون إذن زوجها سقطت نفقتها.

3- العدل: وهذا في حالة تعدد الزوجات؛ والعدل المطلوب يكون في النفقة والمبيت» أما الميل القلبي والنفسي فمعفي منه الزوج كونه خارج عن إرادته وسيطرته؛ يقول 8ك (اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك).

منهج الإسلام في الإصلاح بين الزوجين:

أقر القرآن الكريم سلسلة من الإجراءات والوسائل للإصلاح بين الزوجين عند وقوع الشقاق والنزاع» وهي على النحو التالي بالترتيب:

1- المعاشرة بالمعروف: قال تعالى + وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ هَتَمْتُمْوهنَّ مس أن تكرهوا كا وَل له حَزَا كَذَيَّا (5) « (النساء: 19) « وقوله 88 في حجة الوداع: (استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان). (3.

2- الوعظ والهجر في المضاجع والضرب غير المبرح؛ قال تعالى 2 وَل حاون شرك مِعْطُوهُرْكَ وَأَهْجَرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرَبُوهُنَّ (النساء: 34).

(') المصدران السابقان.

(أخرجه الترمذي في سننه (1140) » والنسائي في سننه الصغرى (3395): وأبو داود (2134): وابن ماجه في سننه (1971) واللفظ للترمذي.

(أ) أخرجه البخاري في صحيحه (5331: 5186) » والترمذي في سننه (3087): وابن ماجة في سننه (1851).

صفحة 251

وإن الأختيار لا يضربون النساء, فالتى لا يمكن معالجة نشورها بالوعظ والهجره فالأفضل للزوج أن يلجأ إلى المفارقة بمعرفة والتسريح بإحسان بدلاً من الضرب.

أما إذا كان النشور من جهة الزوج؛ فقد بين القرآن الكريم وسيلة العلاج في قوله تعالى: 2 وَإِنْ أَسْرَأَ حَاثَةً مَا بِهَا مَوَا أذْ رَايَا ذَا جَاعَ لَا أَنْ مَلَحَا يَتَمَا غَلْمَ وَأَلْصَلُحُ حَيْدُ » (النساء: 128)؛ فالزوجان هما المكلفان بإصلاح حياتهما الزوجية دون إفشاء أسرارهما الزوجية أمام الأهل أو المحاكم الشرعية وغيرها.

3- اللجوء إلى التحكيم: وهذا في حالة استحكام الشقاق والنزاع بين الزوجين» وعدم جدوى الوسائل المتبعة في البندين (1) و(2)» فنلجا إلى تحكيم حكمين لإزالة الخلاف والقضاء على أسبابه» قال تعالى: >« وَإِنْ جِمَشَمَ سِقَاتَ بِهَا َ أَبَسْمُوا حَكَمًا مِّنْ أَمُو وَحَكَمًا يَنْ أَهْلَهَا إِنْ بُرِيدَ إِصْلَحًا مَّقٍ أَنَّهُ يَنْبَتَا أَدْ أُمَّه عَلِيمًا حَبْرَا (5) 4 (النساء: 35).

وما أحوج قضاة الشرع والحكام الذين يحكمون في حالات الشقاق والنزاع إلى أن يتقوا الله تعالى في مصير الأزواج وعائلاتهم» وأن يضعوا قوله تعالى: + بيدا إِصْلَحَا يُؤَيِّ أَلَهُ مَم 1 «4 نصب أعينهم؛ وحتى يبارك الله في وساطتهم؛ ويوق المودة والرحمة بين الزوجين.

-251-

صفحة 252

المبحث الثالث
النظام السياسي

مفهومه: هو مجموعة المبادئ الأساسية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة

النبوية؛ وما استنبطه علماء المسلمين منها في كل عصر من العصور في ميدان الحكم والدولة. (7)

أهميته: يعد النظام السياسي الإسلامي من أهم النظم الإسلامية» فهو محور النظام الإسلامي الشامل وجوهره؛ فلا يمكن أن تقوم قائمة لأي نظام إسلامي إلا بوجود النظام السياسي.

حكمه: واجب يقول ابن حزم في ذلك: اتفق جميع أهل السنة» والشيعه» والخوارج على وجوب الإمامة» وأن الأمة عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيها أحكام الله ويسوسهم بشريعة رسول الله (ص 2)

الأدلة على وجوب إقامة نظام الحكم في الإسلام:

من القرآن الكريم: وردت آيات كثيرة تدل على ذلك؛ منها قوله تعالى: + ايها ادن امو يليوا الله وَاَلِيْهٖوَا يول وَاو ان ينكد (النساء: 59).

من السنة النبوية: وردت أحاديث كثيرة في السنة القولية» تفيد وجوب إقامة نظام الحكم؛ منها قوله فُك: (ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية).!!

ومن السنة الفعلية: كان أول عمل له #ي بعد قدومه المدينة المنورة هو إقامة الدولة الإسلامية.

(' محمد المبارك؛ نظام الإسلام الحكم والدولة؛ ص56.
(عمر الأشقرء نحو ثقافة إسلامية أصيلة» ص324.
9 أخرجه مسلم في صحيحه (1851).

صفحة 253

من الإجماع: أجمع المسلمون بعد وفاة رسول الله قل على وجوب تنصيب الحاكم؛ لذلك رأينا الصحابة -رضوان الله عليهم- قثموا بيعة أبي بكر على إجراءات دفن النبي 8ل -حتى لا يترك الناس فوضى- علماً أن دفنه واجب؛ ولا يترك هذا الواجب إلا لأمر أوجب منه.

ومن القواعد الشرعية: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).!!) إذ أن إقامة أحكام الإسلام في جميع شؤون الحياة واجب وهذا الواجب لا يتأتى إلا من خلال وجود الحاكم؛ فثبت وجوب تنصيبه.

شروط الحاكم في الإسلام:

اشتراط العلماء فيمن يتولى رئاسة الدولة الإسلامية أن تتوافر فيه الشروط التالية: (2)

الإسلام؛ والتكليف. والحرية؛ والذكورة؛ والعدالة؛ والكفاية؛ والكفاءة» والخبر السياسية والإدارية؛ والعلم والثقافة؛ والمواطنة وسلامة الحواس والأعضاء. وأما النسب القرشي فهو شرط مختلف فيه فقد اشترطه الجمهورء واستدلوا بقوله أ (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان!) (') وخالفهم في ذلك الخوارج: وبعض المعتزلة: واستدلوا بقوله 8ل (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي. كأنه رأسه زبيبة). (*)

(' فتحي الدريني. خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم؛ ص 331.
"أ! محمد المبارك. المصدر السابق: ص 61-70.
"أ أخرجه البخاري في صحيحه (3501: 7140). ومسلم في صحيحه (1820).
(*) أخرجه البخاري في صحيحه (693: 7142): ولين ماجة في سننه (2860).

2541

صفحة 254

طرق تنصيب الحاكم في الإسلام:

لم يعتمد الإسلام أسلوباً أو طريقة لاختيار الحاكم؛ فهي ليست من الثوابت في الشريعة الإسلامية؛ وإنما من الأمور المتغيرة المتطورة؛ والحكم في الإسلام تكليف وليس تشريعاً ولا وراثياً وتتم عملية تنصيب الحاكم في مرحلتين هما:

1- مرحلة الترشيح والاختيار (البيعة الخاصة): وهي أن يرشح الحاكم السابق حاكماً جديداً مثل ترشيح أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- أو أن يختار الحاكم السابق مجموعة من المرشحين؛ ثم يقوم أهل الشورى (أهل الحل والعقد) باختيار واحد منهم.

مثل اختيار عثمان بن عفان من بين الستة الذين رشحهم عمر بن الخطاب حرضي الله عنهم.-.

2- مرحلة البيعة العامة (الاستفتاء): وهي إعطاء الحاكم الثقة والولاء والعهد على السمع والطاعة؛ وهي من أهم مراحل تنصيب الحاكم المسلم وأخطرها ولا غنى عنها إذ بها يترتب على الحاكم واجبات» وعلى الأمة حقوق ويراعى في البيعة العامة أن تكون علناً وفي المسجد.

أهل الحل والعقد:

مصطلح سياسي فقهي: يقابله في لغة العصر أعيان الأمة ونوابها وقادة الرأي والجيش. وزعماء الأحزاب. والنقابات الذين يرجع إليهم في حل معضلات الأمور. ويشترط فيهم العدالة والعلم والحكمة.

البيعة: عقد وميثاق بين رئيس الدولة على الحكم بالكتاب والسنة والنصح للمسلمين؛ وبين الجمهور على الطاعة في غير معصية.

صفحة 255

واجبات الحاكم في الإسلام:

يجب على الحاكم المسلم واجبات كثيرة؛ والتي تمثل حقوق الرعية ومقاصد الحكم في الإسلام» ومن أهمها: (1)

1- حفظ الدين على أصوله، وما أجمع عليه سلف الأمة.

2- إقامة الحدود على المجرمين؛ وتنفيذ الأحكام بين المتشاجرين» وقطع الخصام بين المتنازعين.

3- حماية البيضة (الدفاع عن الحرمات والمقدسات الإسلامية)» وتحصين الثغور وإعلان الجهاد.

4- جباية الفيء والصدقات؛ وتقدير العطايا لمستحقيها من بيت المال.

5- مباشرة الأمور ومراقبتها بنفسه» للنهوض بسياسة الأمة» وحراسة الملة. حقوق الحاكم في الإسلام:

إذا أدى الحاكم المسلم واجباته» فإنه يستحق على الرعية الحقوق التالية: (2)

1- السمع والطاعة: وتعني التزام الأوامر والتوجيهات الصادرة عن الحاكم

فيما ليس فيه معصية» قال تعالى ج كاي ادبن مئا أيشها لله وآليموا يسول و

4 (النساء: 59)» وقوله وق (السمع والطاعة على المسلم فيما أحب وكره ما

لم يؤمر بمعصية» فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة): (20) والطاعة الواجبة مشروط بثلاثة شروط: ()

أ أن يكون الحاكم من المسلمين.

0 موسى الإبراهيم؛ المرجع السابق» ص154.

'' أخرج البخاري في صحيحه (2955: 7144).

'' محمد المبارك، المصدر السابق» ص50.

-255-

صفحة 256

ب- أن تكون الأوامر في حدود المعروف وأحكام الإسلام؛ فلا طاعة لمخلوق في المعصية.

ج- أن يكون فيها مصلحة للمسلمين.

2- الكفاية من بيت المال: بما يتناسب مع حاله دون إسراف أو تقتير» وذلك لتفرغ الحاكم لإدارة شؤون الدولة.

3- الناصرة: وذلك في حالة تعرض الحاكم للأذى؛ أو تمرد على طاعته أو خرج عليه فرد أو فئة من الناس بغير سبب موجب للخروج.

4- النصيحة: فمن حق الحاكم على الأمة أن تنصحه؛ وأن تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر» قال وك (الدين النصيحة» قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم). (1)
أسس النظام السياسي: ©

يقوم نظام الحكم في الإسلام على مجموعة من القواعد والمبادئ» وهي:

1- الحاكمية لله (السيادة للشرع): فالمرجع والمحلل والمحرم هو الله قال تعالى: «إِنَّ أَلْحَكُمَ إِلَٰهًا مَّا بَدَا إِلَّا إِلَٰهًا» 4 (يوسف: 40) وعليه فإن الحاكمية من أبرز خصائص الألوهية» فيحرم على المسلم أن يتحاكم إلى غير شرع الله قال تعالى «(مَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَقَّ يَحْضُوكَ فَمَا سَجَرُ يَنْتَهُ ثُمَّ لَا يَجِدَا فَنَمِيهِمْ حَرْجًا مَا قَصَيْتَ وَيُسَيِّمُوا صَالِيَمًا 42 (النساء: 65).

2- للأمة حاكم واحد: فالرب والنبى والإسلام؛ والكتاب واحد؛ والقبلة والأمة واحدة» وكذلك يجب أن يكون الحاكم واحداً قال تعالى: «(إِنَّ هِيَ مَأْتٍ

ناريك عدر () (الأبياء : 092).

(أخرجه مسلم في صحيحه (55).

20م حمد المبارك؛ المصدر السابق؛ ص 34-50: عزمي السيد وآخرون» المرجع 286-292.

صفحة 257

3- حق الأمة في المحاسبة والمراقبة والنقد: ويتجلى هذا الحق في عدة مبادئ في الكتاب والسنة؛ منها مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ومبدأ النصيحة» وعليه فإن الأمة هي الحاكمة» وذلك من خلال وكيل عنها هو الحاكم» وهذا يعني أن الحكم في الإسلام ليس فردياً مطلقاً وإنما يستند إلى سلطة الأمة في المراقبة والتقويم.

4- المسؤولية: وهي نوعان دنيوية» وآخروية؛ أما المسؤولية الدنيوية فهي قسمان: سياسية» وجنائية (جزائية).

فالمسؤولية السياسية تعني: خضوع الحاكم للمساءلة عند تجاوزه حدود سلطته كان يتنكر لمبادئ الشريعة؛ أو يسيء استخدام السلطة بظلم الرعية» والقاعدة الشرعية تقول (تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة).

وأما المسؤولية الجنائية أو الجزائية فتعني: خضوع الحاكم للقانون الإسلامي إذا اعتدى على حقوق الله أو على حقوق العباد؛ وبخاصة في الحدود والقصاص.

- أما المسؤولية الآخروية: فتتمثل في وقوف الحاكم أمام الدين يسأله عن تقصيره في شؤون الرعية, قال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا عَنُوتُوا اللَّهَ السَّوَ كُوتًا أَمَّا نِيكُمْ وَأَ تَنَلُّمُونَ (5) » (الأنفال: 27)؛ ويقول الرسول فَق: (ما من ال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة).()

5- الشورى: وتعني تبادل أصحاب الاختصاص والمعرفة والتقوى من السلمين الرأي والمشورة في الأمور التي لم يرد فيها نص؛ وقد أكد القرآن الكر هذا المبدأ الهام والحيوي في حياة الناس. قال تعالى: 2 وَأَمِيَّهُمْ شِرْكُ يَنَهُمْ (4 الشورى: 38). وقوله تعالى: > وَكَأَوْرَهُمْ فِي الْي دَا عَرَّتْ وَ عَلَّ وَ 6 (آل عمران: 159)؛ كما طبق الرسول #4 مبدأ الشورى في مواقف عديدة مثل: بدر

'' أخرجه البخاري في صحيحه (7151): ومسلم في صحيحه (142) واللفظ للبخاري.

صفحة 258

وأحد والخندق» وطبقه كذلك الصحابة والخلفاء الراشدون. وحكم الشورى واجبة على الحاكم المسلم؛ وهي ملزمة له.

فوائد الشورى: !

ايا إل تبسر الحكم براي الساقط المبرأ عن الهوى أو المصلحة.

ب- تدفع الناس إلى تطبيق القرارات التي شاركوا في صنعها ويتحملون مسؤولية قراراتهم.

ج- تؤدي إلى نجاح الأعمال لبنائها على أساس الخبرة.

د- تدعم الثقة بين القيادة والشعب وتفتح أبواب الحوار والنقد البناء.

6- العدل: ويعني حكم الرعية بالحق بعيداً عن الهوى والظلم والانحياز لفئة

معينة» فالعدل أساس البناء الاجتماعي» يقول ابن تيمية (إن الله يقيم الدولة

وإن كانت كافرة» ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة). 00 والعدل واجب حتى في

حق الأعداء» قال تعالى: «إِذَا يَجْرِمُنْكَم سَكَّانٌ وَوَ عَ لَا تَدُواْ أَعْدِلُواْ هُوَ

أَقْرَبُ لِلتَّحَرُّقِ * (المائدة: 8)» وأكد الرسول هد على مبدأ العدل في نظام الحكم

فقال ''سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل''. (3)

7- المساواة: وهذا الأصل انبثق عن العقيدة التي كرمت بني آدم» وخاطبتهم

بلفظ واحد (يا أيها الناس)؛ (يا بني آدم) والمساواة تكون أمام القانون والق

والوظائف العامة وكافة الحقوق. ومن المعلوم أن الإسلام ألغى امتيازات اللون

والجنس والنسب والمال وغيره.

8- الطاعة: وقد تقدم الحديث عنها في حقوق الحاكم.

(') محمود السرطاوي وآخرون؛ المرجع السابق» ص 286.

(2) ابن تيمية» الحسبة في الإسلام؛ ص 81.

() أخرجه البخاري فسي صحيحه (660: 1423 6806): ومسلم في صحيحه (1031)؛

والترمذي في سننه (2391) والنسائي في سننه الصغرى (5382).

المبحث الرابع الغظام الاقتصادي

تعريف الاقتصاد لغة واصطلاحاً :

لغة: يطلق على عدة معان منها: الاستقامة» وإتيان الشيء؛ والتوسط والاعتدال وتجنب الإفراط. (!)

اصطلاحاً: : هو الاعتدال بين الإسراف والتقتير» . قال تعالى: + وَالْذِي آ أَنْقَثُوا مَسْرَفَوْا وَلَمْ يِقَارُوا وَحَكَادِ بَت مَلِكٌ قَوَّامًا 8 (الفرقان: 67).

والاقتصاد: علم يبحث في الطواهر الخاصة بالإنتاج والتوزيع.2)
أهمية الاقتصاد:

وتكمن أهميته في أنه:

عصب الحياق وعامل مؤثر في الأوضاع الاجتماعية والسياسية للأفراد والجماعات؛ وعامل فعال في استقرار الدول وسيادتها.

النظام الاقتصادي في الإسلام: مفهومه وأقسامه

مفهومه: هو مجموعة الأحكام والمبادئ التشريعية المتعلقة بعمليات الإنتاج والاستثمار والتوزيع والاستهلاك؛ وما تتضمنه من علاقات إنتاجية بين الإنسان والأشياء (من موارد طبيعية أو آلات إنتاج أو نقد أو سلع) أو بين الإنسان والإنسان.0

والمصادر التشريعية للنظام الاقتصادي الإسلامي هي: القرآن الكريم» والسنة النبوية؛ والاجتهاد بجميع وسائله.

" ابن منظور، المصدر السابق؛ مادة (قَصَن). |
0مجمع اللغة العربية؛ المصدر السابق؛ مادة (قَصَن).
8 عزمي السيد وآخرون، المرجع السابق.؛ ص308.

أقسامه: ويتكون من قسمين هما: 7

1- الثابت: ويشتمل على مجموعة المبادئ الاقتصادية العامة التي نص عليها القرآن الكريم والسنة النبوية مثل: حل البيع وحرمة الرباء وهذا القسم يسمى بالمذهب الاقتصادي.

2- المتغير: ونقصد به مجموعة التطبيقات والحلول الاقتصادية التي يتوصل إليها المجتهدون: تطبيقاً للمبادئ العامة وإعمالاً لها مثل العمليات التي يصنذ الربا. الأسس العقدية للنظام الاقتصادي في الإسلام:

يقوم الاقتصاد في الإسلام على جملة من الأسس والقواعد العقدية؛ وأهمها: (!)

1- المال مال الله. قال تعالى: لَوْ مَا تَوْهُم يَنْ مَلَّ أَلْ مَا كَكُم « (النور:

3).

2- الإنسان مستخلف في مال الله؛ قال تعالى: 2 وَأَيُّهُمَا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَسْلِمِينَ

فد © (الحديد: 7).

3- تسخير الكون للإنسان ليتمكن من تحقيق مبدأ الاستخلاف قال تعالى: (أَلْ يَوَا أَنْ لَهُ سَخِرْلَكُمْ مَا فِى لِسُوت وَمَا فِى الْاَرْضِ وَأَسْبَغَ كَمْ يَمْد لِيَهْرَةً وَآيَنَّةٌ «4 (لقمان: 20) وكذلك الانتفاع بخيرات الكون وإستثمار ثرواته» قال تعالى: 82 قُلْ مِنْ حَرَمِ زَيْمَةِ آمِّ لِي أَخَجَّ لِسَادُو. لَيْتَ أَرْقُ * (الأعراف: 32).

4- تحديد الطرق المشروعة لملكية المال؛ وواجباتها.

5- النشاط الاقتصادي عملاً وإنتاجاً وإستثماراً وإستهلاكاً وسيلة وليس غاية.

(' محمد أبو يحيى. اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة. ص12-13.

(: محمد المبارك؛ نظام الإسلام (الاقتصاد)؛ ص21-27.

6- النشاط الاقتصادي يقوم على التوازن الفعال بين المادة والروح وبين الفرد والمجتمع» ودوران المال بين جميع الناس قال تعالى: |«(ما أفاء مه

عَكَ مَسُولو- من أَهْل الثَّرِيكْ هل ولول وليذِي درق والبتى والمسككين وان لبي لكك
اين دوين الح يسم) (الحشر: 7).

7- النشاط الاقتصادي في الإسلام عبادة؛ يُسأل عنها في الدنيا والآخرة.

8- المال الذي لا تؤدى حقوق الله وحقوق العباد منه كنزء دعى الإسلام إلى
تحريمه؛ لأنه يضر بالمصلحة العامة» ويعيق التنمية الاقتصادية» قال
تعالى: « وَلَ يَكْزُوتَ لَذَّهَبَ وَالْإِصْصَةَ وَلَا يُفُوسَبَا فِي سَبِيلِ اله
مرحم يَصَدَّابِ أ 5) (التوبة: 34).

الملكية في الإسلام: مفهومها - أهميتها - أقسامها
مفهومها: هي حيازة الأموال من مصادرها المشروعة؛ بحيث تخول
صاحبها حق الانتفاع والتصرف فيها وفق القيود الشرعية.
أهميتها: اهتم الإسلام بالملكية ونظمها تجنباً لأمرين خطيرين هما:
1- خوفاً من طغيان المال على صاحبه؛ قال تعالى: + (إن لان لي (5)
دراه أستفق (5) » (العلق: 6-7).
2- خطورة الفقر وآثاره الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المدمرة على
المستوى الفردي والجماعي والدولي.
أقسامها: وتنقسم الملكية إلى أربعة أقسام: 7
- الملكية الفردية: وينعصر فيها الحق تصرفاً وانتفاعاً بفرد معين»
ومثالها: الأموال المنقولة وغير المنقولة؛ والأوراق النقدية والمالية.

() محمد المبارك؛ المرجع السابق ص103-105؛ عزمي السيد وآخرون؛ المرجع السابق
ص316-317، صالح ذياب هندي؛ المرجع السابق ص126-127.

-261-

صفحة 262

2- الملكية المشتركة: وهي التي تتعلق منفعتها بمجموعة من الأفراد» دون
أن يشاركهم فيها غيرهم؛ ومثالها: الشركات التي أقرها الإسلام.

ويطلق على كل من الملكية الفردية والمشاركة (الملكية الخاصة).

3- الملكية الجماعية: وهي الأمور التي تعود ملكيتها للمسلمين عامة» دون
اختصاصها بفرد معين فينتفع بها جميع الناس» ومثالها: الأنهار والبحار
والمحيطات والمياه الجوفية» والمدارس والمساجد والطرق العامة» والمعادن الت

في باطن الأرض (الركاز)؛ والماء والعشب والنار والمراعي والغابات؛ مما يدخل تحت قوله 8: (المسلمون شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار).(!)

4- ملكية الدولة: وهي الأموال التي تعود ملكيتها للدولة» تتصرف بها بما يعود بالمنفعة على جميع رعاياها بمن فيهم أهل الذمة» ومثالها: موارد بيت المال والمعادن الباطنة (المناجم)؛ والمال الذي لا وارث له» وأرض الموات: وهي الأرض غير العامرة التي لا مالك لها وأرض الحمى: وهي الأرض التي يحميها رئيس الدولة لمصلحة عامة؛ كأن يضع فيها مواشي الزكاة. (وقد ورد أن النبي يحمي الحمى).(!)

ويطلق على كل من الملكية الجماعية وملكية الدولة (الملكية العامة).

الملكية الفردية في الإسلام: مشروعيتها - أسبابها - قيودها - واجباتها مشروعيتها:

دل على مشروعية الملكية الفردية آيات كثيرة من القرآن الكريم؛ منها قوله

تعالى: > مَا أَمْقَ عَيِّ مَيَّة 9 «4 (الحاقة: 28). وقوله تعالى: + مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ كَاكَ (5) 4 (المسد: 2).

(' أخرجه أبو داود في سننه (3477)؛ وأحمد في مسنده (23132).
(أخرجه البخاري في صحيحه (2370).

صفحة 263

ومن السنة النبوية قوله فود (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله

وعرضه).()

أسبابها:

تكتسب الملكية الفردية بالطرق المشروعة التالية: (2)

1- التملك بالجهد الشخصي: مثل: العمل البدني من صناعة وزراعة وتجارة؛ والعمل الذهني الفكري، كالتعليم» والقضاء والإدارة» وحيازة المباحات كالصيد والاحتطاب وجمع الأعشاب؛ وجميع أنواع العقود التي شرعها الإسلام من بيع ومضاربة ومزارعة ومساواة وغير ذلك.

2- التملك بدون الجهد الشخصي مثل: النفقة» والميراث»: والوصية»ء والهبه والوقف واللقطة بعد التعريف بها ولم نجد صاحبها والزكاة والصدقات؛ والكفار والنذورء والدية والتعويض عن المتلف.

قيودها :

قيّد الإسلام الملكية الفردية بالضوابط والقيود الآتية: (5)

1- أن تكون بالطرق المشروعة: وقد سبق ذكرها.

2- أن تكون في أصل تملكها أو التصرف فيها أو الانتفاع بها ضمن الحدود الشرعية: بحيث لا تلحق الضرر بالآخرين» ومن صور إلحاق الضرر استخدام بيت السكن معملاً للنجارة أو الحدادة؛ أو أن يحفر إنسان في أرضه الملاصقة

(') أخرجه مسلم في صحيحه (2564). وأبو داود في سننه (4882)؛ وابن ماجة في سنن (3933).

(محمد المبارك؛ المصدر السابق ص 93-94 إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون؛ دراساء الفكر العربي الإسلامي ص198.

محمد المبارك. المصدر السابق ص77 وما بعدهاء إبراهيم زيد الكيلاني وآخرونء السابق, ص 199-200.

2

00

-263-

صفحة 264

لجيرانه حفرة تؤدي إلى سقوط البيت المجاورء أو احتكار أقوات الناس الضرورية في وقت الحروب والمجاعات طمعاً في الربح.

3- مراعاة المصلحة العامة: بشرط أن لا تتخذ ذريعة للتسلط على ملكية الأفراد وإزالتهاء ونلك مثل: القيود التي توضع على الصناعات لمصلحة المستهلكين» أو حماية لحقوق العمال.

4- حسن التصرف بالملكية: ومن تطبيقات هذا القيد الحجر على السفينه

المبذر في ثروته؛ قال تعالى: « وَلَا نَوْهًا لِّنَمَّهٖٓا مَوْكَمِجْمَسَهْلَكُويمًا ب (النساء: 5) .

5- عدم كنز المال: لأنه يؤدي إلى جعل المال غاية وهدفًا وإعاقة دورانه: والله يقول: كُ لَا يَكُنْ وَلَهُ بَنَ الْخَبَّآ يَكُ » (الحشر: 7): وهذه الآية تمثل قاعدة من قواعد التوازن المالي في المجتمع الإسلامي واجباتها:

أوجب الإسلام في الملكية الفردية الواجبات الآتية: (!)

1 - النفقة: وتشمل كل من يجب عليهم النفقة مثل: الوالدين» والزوجة والأبناء العاجزين عن الكسب، والأقارب المحتاجين.

2- الزكاة: وهي فريضة إجبارية من الله تؤخذ من الأغنياء -وفق شروط معينة- وتدفع لمستحقيها قال تعالى: #8 © إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْمُمْرِكِ وَالْمُسْكِينِ وَالْمَدْمِلِينَ عَلَّتْ عَيَا وَالْمُؤَفِّي وَيَم دَفِي لِرِمَا وَلَصْرِمِينَ وَف سِلِّ أَلِه وَأَبْنِ لَسِيل 4 (التوبة: 60) .

3- الصدقات المندوبة: قال تعالى: + الدِ يُنْفِمُو أَمْوَلَهُمْ بِأَلْتِلِ وَالتَّهْسَارِ سِرًا وَعَلَانِسَةً كَلَهُ أَجْرَهُمْ عِنْدَ رِيَهُمْ وَلَا حَوْفُ عَلَبَهُمْ وَكَاهُمْ يَخْرُورَت 0 4 (البقرة: 274) .

(') محمد المبارك؛ المصدر السابق؛ ص81-85.

صفحة 265

4- حقوق أخرى سوى الزكاة: كالتى تدفع في الحروب؛ والمجاعات» والفيضانات» والزلازل وغيرها من الكوارث؛ التى تحدث بشكل مفاجئ» وتسبب خسارة مالية كبيرة؛ لذا لم يحدد الإسلام هذه الحقوق لتشمل أي حق سوى الزكاة» وفي ذلك يقول النبي #قُك (إن في المال حقاً سوى الزكاة). (1)

خصائص النظام الاقتصادي:

ويمكن تلخيصها في الأمور الآتية: (2)

1 - إلهي المصدر.

2- أهدافه أخلاقية اجتماعية إنسانية؛ بعيدة عن الربح المادي.

3- أساسه العدالة وتكافؤ الفرص والتعاون والتكافل.

4- التنمية والاستثمار.

5- الثبات والمرونة.

6- الوسطية والتوازن: فالاقتصاد الإسلامي وسط بين الأنظمة الاقتصادية المعاصرة (الراسمالية والاشتراكية). فالمذهب الرأسمالي (الفردية) يشترك مع المذهب الاشتراكي (الجماعي) في أنهما يجعلان المال غاية وأساساً لتقييم البشر.

ويختلفان في أن النظام الرأسمالي يبيع الملكية الفردية مطلقاً ويغلب مصلحة الفرد على الجماعة» أما النظام الاشتراكي فيمنع الملكية الفردية ويستبدلها بالدولة؛ فهو يغلب مصلحة الجماعة على الفرد.

أما النظام الاقتصادي الإسلامي فيبيع الملكية الفردية ضمن قيود وواجبات، فهو يوازن بين مصلحة الفرد والجماعة؛ كما أن المال فيه وسيلة وليس أساساً للتقييم البشري.

(' أخرجه الترمذي في سننه (659-660): وابن ماجه في سننه (1789) -
"أ محمد المبارك المصدر السابق؛ ص34-33 157-158

-266-

صفحة 266

المبحث الخامس
النظام القضائي في الإسلام

العدل اسم من أسماء الله الحسنی. وقد سمى الله به نفسه للتأكيد على أهمية إقامة العدل بين الناس. وحتى يتحقق هذا المطلب المهم لا بد من جهة تتولى تحقيقه. ونظام متكامل يرفع شأنه. وهذا النظام هو النظام القضائي.

مفهوم القضاء :

هو بيان الحكم الشرعي وتنفيذه بين الناس على وجه الإلزام.

والقضاء يختلف عن الإفتاء في صفة الإلزام التي يتصف بها القاضي في نفاذ أحكامه على الناس. في حين أن فتوى المفتي غير ملزمة.

حكم القضاء : ()

تولي القضاء فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الأمة. وإذا لم يقم به أحد أثمت الأمة كلها.

ومن تعيّن في حقه تولي القضاء بحيث كان أكثر الناس علماً وورعاً وتحقيقاً لشروط القاضي فلم يتول هذه المهمة فهو أثم.

أما النصّوص التي تشير إلى النهي عن تولي القضاء وتبين أن القضاة ثلاثة اثنان في النار كما ورد في الحديث: (القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في رجل علم الحق فقاضى به فهو في الجنة؛ ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ورجل جار في الحكم فهو في النار).!" وعزوف كثير من علماء السلف عن تولي القضاء.

0) ابن قدامة؛ المغني (35/9).: عبد الكريم زيدان؛ نظام القضاء في الشريعة (أخرجه ابن ماجة في سننه (2315).: وأبو دلود في سننه (3573).: والترمذي في 2 واللفظ لاين ماجة.

صفحة 267

فكل هذا لا يدل على حرمة تولي القضاء وإنما الغاية منه بيان خطورة هذا المنصب والحرص على الدقة في القضاء وليكون من يتولى هذا المنصب على حذر من الجور. فإن كان كذلك فله عند الله أجر عظيم. وهو ما أكد عليه الرسول يا في قوله: 'سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل".!1)

شروط القاضي: ©

1- الإسلام: فالقضاء نوع من أنواع الولاية» ولا ولاية لغير المسلم على المسلم.

2- العقل: فلا يجوز للمجنون تولي القضاء لأنه فاقد للأهلية.

3- البلوغ: فلا يجوز لمن دون سن البلوغ تولي منصب القضاء .

4- العدالة: وهي صفة عامة تشمل الورع والتقوى وأداء الفرائض والبعد عن ارتكاب المحرمات والمعاصي والمفسقات.

5- العلم بالأحكام الشرعية: وهذا يتطلب منه الإحاطة بعلوم الشريعة واللغة ليكون قادراً على إصدار الأحكام الصائبة.

6- المعرفة التامة بأحوال الناس: وعاداتهم وواقعهم وبيوعهم» لأن معرفة الواقع لها دور مهم في إصابة الحق في القضاء .

7- السلامة في البدن: بحيث يكون القاضي سالماً من العيوب البدنية فيكون سليم السمع والبصر والنطق. وهذه شروط كمال.

8- الذكورة: لا يجوز للمرأة تولي منصب القضاء عند جمهور الفقهاء.

(') سبق تخريجه في المبحث الثالث (النظام السياسي).

2 ابن قدامة» المصدر السابق (39/9-40)؛ الكاسانيء بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع
ابن المصدر
الشربيني؛ مغني المحتاج (375/4).

-267-

صفحة 268

أنواع القضاء:

وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قضاء الخصومات

وهو الإخبار بالحكم الشرعي على وجه الإلزام للفصل بين الأفراد في الخصومات المتعلقة بالعقود والمعاملات والعقوبات.

وهذا النوع لا بد فيه من تقديم الدعوى من المدعي على المدعى عليه. ويحتاج إلى مجلس القضاء وهو متعلق بحق الأفراد وليس بحق الجماعة.!!)

ولقد كانت مهمة القضاء في عهد الرسول كل خاصة به. فهو الذي كان يفصل في الخصومات.

ثم بعده قو كان الخليفة يسند هذا الأمر إلى أحد أصحاب النبي ﷺ. فلقد أسند أبو بكر هذه المهمة إلى عمر بن الخطاب فبقي سنة لا يأتيه خصمان. وهذا مؤشر على أن المجتمع الذي تسوده معاني الإيمان تختفي منه النزاعات.

وفي عهد عمر ونه عين في كل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية قاض خاص بها ومن أشهر القضاة في تلك الفترات من تاريخ أمتنا أبو موسى الأشعري» القاضي شريح وغيرهما.

ومن أجمل ما كتب حول القضاء وأحكامه في ذلك الزمن:

الرسالة التي كتبها عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما- حيث قال: 'أس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من أنكر. والصلح جائز بين الناس؛ إلا صلحاً أحل حراماً أو حرّم حلالاً. ولا

(') عبد الكريم زيدان؛ المرجع السابق» ص119 وما بعدهاء صالح ذياب هندي؛ دراه الثقافة الإسلامية» ص98.

صفحة 269

يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك: أن ترجع إلى الحق» فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل".!!!)
النوع الثاني: قضاء الحسبة

الحسبة لغة: بكسر الحاء؛ الأجر واسم من الاحتساب أي احتساب الأجر عند الله تعالى. تقول فعلته حسبة. (2)

الحسبة اصطلاحاً: هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه؛ ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله طلباً للأجر من الله. (3)

فالحسبة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر. وهذا واجب ثبت مشروعيته بنصوص كثيرة.
من القرآن الكريم:

قال تعالى: عَكُمْ حَمَّ أَهَ أَرَجَت لئاس تود يَالْمَمْرُوفِ وَتَنْهَوْرَت عَنْ لُسْكَرٍ « (آل عمران: 110).

وقال تعالى: جز وَلَتَكَل مَسِي أَمَا يَدْعُونَ إِل فِير وَيَأْمُرُونَ بِالْتُرُوف وَبَتْهُوَ عَنْ الشُّدْكَر وَلَكْ هَم لِيَسْت 3) (ال عمران: 104).

ومن السنة النبوية:

قال وي من رأى منكم منكراً فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان". (4!)

0 محمد عارف مصطفىء عمر بن الخطاب قاضياً ومجتهداً ص88-90.

' مجمع اللغة العربية: المصدر السابق؛ مادة (حَسَب).

''' الماوردي؛ الأحكام السلطانية» ص362.

9 أخرجه مسلم في صحيحه (49): والترمذي في سننه (2172) « والنسائي في سننه ال (5011) « وأبو داود في سننه (1140: 4340) « ولبن ماجة في سننه (4013).

-269-

صفحة 270

وقال #ك: 'والذي نفسي بيده لَتَأْمُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ يُوشِكَنَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ". (!!!)

صفات المحتسب:

يجب على من يمارس دور المحتسب أن تتوفر فيه الصفات الآتية:

- 1 - ألا يقصد من الحسبة الرياء والسمعة.
- 2- أن يتحلّى بالأخلاق الحسنة كالصبر والحلم والأناة.
- 3- أن يكون رفيقاً في تعبيره لطيفاً في حسبه.
- 4- أن يراعي أحوال المنكر عليهم.
- 5- ألا ينكر في المسائل التي يستساغ فيها الخلاف.
- 6- أن لا يتتبع عورات الناس.

مجالات اختصاص المحتسب:

يغلب على مجالات اختصاص المحتسب أنها تتعلق بحقوق الله على الأغلب وبالحقوق العامة ونذكر من هذه الاختصاصات الأمور الآتية: 2

1 - منع المنكرات بكل أنواعها .

2- متابعة أداء الناس لعباداتهم ومراقبة المقصر فيها .

3- المراقبة التامة للأسواق والأسعار وأهل الصناعات .

4- منع كل ما يضايق الناس في طرقاتهم .

5- حماية حياة الناس من كل ما يهددها ومراقبة المباني المتداعية للسقوط

وإلزام أصحابها بهدمها وإزالة أنقاضها .

6- حماية مرافق الدولة العامة من أي تعد .

(') أخرجه الترمذي في سننه (2169) وقال عنه: حسن؛ وأحمد في مسنده (23449) .
(الماوردي المصدر السابق ص240؛ ابن تيمية؛ الحسبة في الإسلام؛ محمد سلام مد
القضاء في الإسلام؛ ص147 .

محص

صفحة 271

7- الإشراف على الأخلاق العامة .

8 مراقبة تحميل الحيوان والسفن ووسائل النقل فوق طاقتها .
النوع الثالث: ولاية المظالم

أو ما يسمى قضاء المظالم .

مفهوم ولاية المظالم:

هي أعلى هيئة قضائية في الدولة الإسلامية . يصل إليها التقاضي في مرحلته

الأخيرة إذا لم يحسم النزاع والخصومة في المراحل الأولى» أو إذا قامت عقبات

ولعل من أهم الأسباب التي دعت إلى وجود هذه الولاية هو حماية حقوق الناس من سلطات ذوي الجاه والنفوذ.

ولذلك يشترط في والي المظالم أن يكون جليل القدر ذو هيبة» أمره نافذ عفيف النفس ورعاً. (')

وهذه الولاية أول من تولاها راشد بن عبد الله حين عينه النبي نك والياً للمظالم ثم سار الخلفاء الراشدون على طريق الرسول و.

ومما يجدر ذكره أن ولاية المظالم كانوا لا يعقدون مجلس القضاء إلا بحضور الحماة والأعوان للقبض على من حاول الفرار. وحضور القضاة لاستلام ما ثبت عندهم من الحقوق. والفقهاء حتى يُرجع إليهم في الأحكام؛ والكتاب ليسجلوا الوقوع وحضور الشهود لإثبات ما عرفوه عن الخصوم وما أمضاه والي المظالم من أحكام.

(' محمد سلام مذكور المرجع السابق ص146.

-2271

صفحة 272

اختصاصات والي المظالم: (1)

- 1 - النظر في الدعوى المرفوعة على الولاية والحكام من أفراد الرعية.
- 2 - عقوبة وتأديب عمال الدولة من كبار الموظفين.
- 3 - رد ما اغتصبه الظالمون من المظلومين.
- 4 - النظر في تظلم الموظفين والعمال إذا نقصت رواتبهم أو تأخرت.
- 5 - متابعة كتاب الدواوين.

استقلال القضاء: 0

أول من حرص من الأمم على استقلال القضاء هم المسلمون. فلم يكن يُسمَحُ حتى لرأس الدولة أن يتدخل في حكم القضاء. بل كان يجلس عند القاضي كبقية الناس. خاصة إذا كان رأس الدولة خصما في قضية منظورة أمام القضاء. والمقصود باستقلال القضاء: أن لا يقع القضاة تحت تأثير سلطة أو شخص من شأنه أن يخرج القضاء عن هدفه الأسمى. وهو إقامة العدل بين الناس وإيصال الحقوق إلى أصحابها.

(') صالح ذياب هندي؛ المرجع السابق ص103.

(عز الدين الخطيب التميمي وآخرون. نظرات في الثقافة الإسلامية» ص147؛ عبد ا زيدان؛ المرجع السابق ص19.

صفحة 273

المبحث السادس

نظام العقوبات في الإسلام

حرص الإسلام على حماية الإنسان وكل حاجاته الحياتية. ونهى عن التعدي على نفس الإنسان أو ماله أو عرضه أو دينه أو عقله.

وحتى تتحقق هذه الحماية بشكل مؤكد شرع الإسلام عقوبات رادعة لكل من يتعدى على الضرورات الخمس.

وهذه العقوبات مختلفة باختلاف حجم الجريمة والتعدي الحاصل بسببها. الغاية من العقوبة:

ومن فوائد هذه العقوبات إضافة إلى كونها تحمي المجتمع من الجريمة» وتحقق للإنسان الأمان في الدنيا. فإنها تطهر المجرم من الذنب؛ فإن عوقب في الدنيا طهر وأعفي من العقوبة في الآخرة» إذا رافق ذلك توبة صادقة منه.

وهي أيضاً موانع قبل الفعل؛ وزواج بعده. مفهوم العقوبة:

هي الجزاء الذي توقعه الدولة على عصيان أمر الشرع. وعصيان أمر الشرع يعتبر جريمة» أو هي الجزاء الشرعي لمن خالف أوامر الله ونواهيه.()

خصائص العقوبة في الإسلام: ©

1- تطبق على المجرم فقط: لقوله تعالى: + وَلَا يَدَّ كَايْنُهُ وَتُدَّ تَن 4 (الأنعام: 164). فلا يؤخذ إنسان بذنوب إنسان آخر لأن العدالة تقتضي هذا.

(' عبد القادر عودة؛ التشريع الجنائي الإسلامي (609/2)» صالح ذياب هندي؛ المر ص139.

(" محمد أبو زهرة: العقوبة» ص13.

صفحة 274

2- الكل سواسية في العقوبة: فهي تطبق على الجميع بدون تفريق بين حاكم أو محكوم: أو غني أو فقير أو رجل أو امرأة؛ ولذلك لما حاول أسامة بن زيد أن يشفع في المرأة المخزومية التي سرقت عند رسول الله ﷺ غضب رسول الله عي ورقال: "أتشفع في حد من حدود الله؟ إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا فاتهم الشريف تركوه؛ وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها". (!)

الفرق بين العقوبة في الإسلام والقوانين الوضعية:

تتميز العقوبات الإسلامية عن غيرها في القوانين الوضعية بما يأتي:

1- العقوبات في الإسلام ثنائية الجزاء أي أن الجزاء فيها دنيوي وآخروي. أما القوانين الوضعية فإن الجزاء فيها دنيوي فقط لذلك فإن العقوبات الإسلامية أكثر ورعاً لأنها تعتمد على الضمير الإنساني وخوفه من الله في الآخرة. ويؤكد ذلك أن دراسة موضوعية لتاريخ الأمة الإسلامية ولل فقرات الزمنية التي طبقت فيها العقوبات بشكلها الصحيح بينت لنا ذلك. حيث أن الجرائم كادت تختفي ولم تمارس الجرائم خاصة الكبرى منها ولعشرات السنين إلا فترات معدودة على الأصابع» وعكس ذلك فإن دراسة موضوعية لمجتمع من المجتمعات التي تطبق العقوبات الوضعية» بينت لنا أن الجريمة تزيد انتشاراً. بل إن نفس من وقعت عليه العقوبة مرات متعددة إلى السجن بجرائم أكثر خطورة من جريمته الأولى: لأن العقوبة لم تحقق الغاية منها وهي الردع.

() أخرجه البخاري في صحيحه (3475)؛ ومسلم في صحيحه (1688) «والترمذي في سننه (1430)» والنسائي في سننه الصغرى (4905).

صفحة 275

2- أن العقوبات في الإسلام تطبق على الجميع دون استثناء» أما العقوبة في القوانين الوضعية فلا تطبق على جميع الناس» ولا سيما الأغنياء وأصحاب السلطة والنفوذ.

3- العقوبات الإسلامية محددة (مقدّرة): لا تزيد ولا تنقص باستثناء جرائم التعزير التي يترك أمر تقديرها إلى القاضي ضمن ضوابط معينة لا يحق له تعديها. أما العقوبة في القوانين الوضعية فهي تزيد وتنقص حسب الظروف والأحوال.

4- العقوبة في الإسلام تطبق على الجريمة ولو تمت بالتراضي أما القوانين الوضعية فلا تعتبر هناك جريمة مع التراضي. (١)

أنواع العقوبات في الإسلام:
النوع الأول: الحدود

الحد في اللغة: هو الفاصل والحاجز والمانع بين شيئين» حتى لا يتعدى أحدهما على الآخر.

الحد في الاصطلاح: هو عقوبة مقدرة من قبل الشرع وجبت حقاً لله تعالى من أجل الصالح العام منصوص على تقديرها بالكتاب والسنة. (3)

الحدود في الإسلام ستة» هي:
أولاً- حد الزنا:

تعريف الزنا: هو وطء الرجل امرأة في قبلها من غير نكاح ولا شبهة نكاح. (#)

(') عبد القادر عودة المرجع السابق» (631-621/1)؛ محمد عقلة؛ نظام الإسلام (1 والعقوبة)» ص185.

0) ابن منظور المصدر السابق» مجمع اللغة العربية» المصدر السابق» مادة (حت

(محمد فؤاد جاد الله أحكام الحدود في الشريعة الإسلامية؛ ص10.

(الكاساني؛ المصدر السابق ص41.

عقوبة الزنا:

تختلف عقوبة الزاني باختلاف حاله؛ فيفرق بين المحصن وغير المحصن على النحو الآتي:

1- الزاني أو الزانية غير المحصنين أي (غير المتزوجين) عقوبة كل واحد منهما الجلد مائة جلدة لقوله تعالى: + (أله ون مَلِدُ كل ودر نما أت جَلَتَرَ (النور: 2).

2- الزاني والزانية المحصنين أي (المتزوجين): عقوبة كل واحد منهما الرجم حتى الموت. وقد طبقت هذه العقوبة في عهد النبي # عندما رجم ماعز بن مالك والمرأة الغامدية» وكانا محصنين. شروط إقامة حد الزنا:

1- أن يكون الزاني عاقلًا بالغًا.

2- الاختيار بأن لا يكون مكرهاً على الزنا لأنه لا حد مع الإكراه.

3- أن تنبت جريمة الزنا بوتا قطعياً بإقرار الزاني» أو شهادة الشهود العدول ويشترط لذلك أربعة شهود.

4- أن الايكون مناق شبيه كن يطاء امرأة نائمة اطانا أنها دوجت ثانياً- حد القذف:

القذف لغة: الرمي.

القذف شرعاً: هو الاتهام بالزنا من غير إثبات؛ الأمر الذي يوجب الحد على المقذوف.

مقدار عقوبة القذف:

من اتهم إنساناً بالزنا فتبين كذبه يسمى قاذفأً وعقوبته مقدارها الجلد ثمانون جلدة لقوله تعالى: « أي سكت لوأو خبطُ و كيبن جد وا تقبو شبد بدا وألِكَ هُم اسمن (5) 4 (النور: 4).

6- جهم

ويلحق بالجلد عدم قبول الشهادة؛ وعقوبة معنوية أن القاذف يوصف بالفسق. وهذه الجريمة مما حرمه الله وعده من الكبائر لأن فيه إشاعة للفاحشة» وفيه إلب للمقنوف وتشويه بسمعته. ولذلك عد النبي وك القذف من السبع الموبقات. فعن أبي هريرة # أن رسول الله وي قال: 'اجتنبوا السبع الموبقات؛ قالوا يا رسول الله وما هن: قال: الشرك بالله» والسحرء وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق» وأك الرباء وأكل مال اليتيمء والتولي يوم الزحفء وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات". (1!)

شروط وجوب حد القذف: ©

1 - أن يكون القاذف بالغاً عاقلاً غير مكره.

2- أن يكون المقذوف ممن توفرت فيهم شروط الإحصان وهي العقل

والحرية والإسلام والعفة من الزنا سابقا.

3- أن لا يأتي القاذف ببينة تؤيد قذفه والبينة في القذف هي أربعة شهود.
ثالثا- شرب الخمر:

الخمر: اسم يطلق على كل ما يسكر ويغطي العقل من أنواع الأشربة
المسكرة؛ سواء كانت من العنب أو الحنطة؛ أو الشعيرة أو غير ذلك؛ إذا تمت
معالجته كحولياً بحيث يحدث تشوه وطربا.

وهو من الكبائر وأم الخبائث. قال تعالى: © يٰهَا أَلَدْنَ آٰمًا نَمَا اخْثَرْ وَأَلْمَبِيرُ
لساب واه رجش ين مل لبن يولك حون (8) « (المائدة: 90).

(! أخرج البخاري في صحيحه (2766: 6857)؛ ومسلم في صحيحه (89)؛ والنسائي في
الصغرى (3701)؛ وأبو داود في سننه (2784). واللفظ للبخاري.
(صالح ذياب هنديء المرجع السابق» ص145.

-277-

صفحة 278

وقال #: 'كل شراب أسكر فهو حرام'
عقوبة شارب الخمر:

عقوبة شارب الخمر: ثمانون جلدة» وقد ستل علي بن أبي طالب عن رأييه في
حد شارب الخمر فقال: (يجلد ثمانين جلدة؛ فإنه إذا شرب سكرء وإذا سكر هذى»
وإذا هذى افترى) 2 أي قذف وحد القذف ثمانون.

وقد شرع الإسلام العقوبة على شرب الخمر حفاظاً على العقل البشري الذي
هو مناط التكليف.
ثبوت حد شرب الخمر:

يثبت حد شرب الخمر بإحدى هاتين الوسيلتين:

الأولى: إقرار الشارب على نفسه.

الثانية: شهادة رجلين مسلمين عدلين.

ولا يقام الحد على السكران حتى يصحو ليتحقق معنى الزجر والتنكيل.

والإنسان المؤمن الذي يقتر دوره في الحياة ويدرك أهمية الصلة بالله في إنارة طريقه لا يقدم على شرب الخمر وفي قلبه إيمان.
رابعاً - السرقة:

السرقة لغة: أخذ الشيء من الغير خفية. (3)

والسرقة اصطلاحاً: أخذ مال الغير خفية من حرز مثله بشروط. (9)

() أخرجه البخاري في صحيحه (242: 5585: 5586) «ومسلم في صحيحه (2001):
والترمذي في سننه (1863) «والنسائي في سننه الصغرى (5594-5597) «وأبو داود
سننه (3682). « وابن ماجه في سننه (3386).

(2) أخرجه مالك في موطئه (1587: 1588).

() ابن منظور المصدر السابق؛ ماد (سرق).

الحسيني الحصري كفاية الأخيار (116/2).

صفحة 279

عقوبة السارق:

عقوبة السارق قطع اليد» لقوله تعالى: 01 وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ كَذَّ فَاَقَطْعُوْا 8 دِيْهٖ
جَرَآءِ يَسَآكِسًا تَكْلَا يَنْ هَرَنْ اَ وَلَهٗ يَ حِكِيۡةٌ (5) 4 (المائدة: 38).

ولقوله #ل: 'إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه
وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سر
لقطعت يدها" (1)

تقطع يد السارق في المرّة الأولى من مفصل الكف. واليد التي تقطع هي اليمنى فمن سرق مرة ثانية تقطع رجله اليسرى من الكعب.2) ومن سرق مرة ثالثة تقطع يده اليسرى وفي الرابعة تقطع رجله اليمنى» وعند أبي حنيفة لا قطع الثالثة وما بعدها وإنما يُسجن حتى يتوب. ثبوت حد السرقة على السارق:

يثبت الحد على السارق إما باعترافه» أو بشهادة شاهدين عدلين» بشرط عدم وجود شبهة» وأن تكون السرقة من حرز حقيقي وهو ما تحفظ به الأموال. خامساً- حد الحراة:

الحراة هي الخروج على الناس لأخذ مالهم بالقوة وعلى سبيل المغالبة , وإخافة السبيل» وقطع الطريق.

وتعد الحراة من أبشع الجرائم» فناسبتها العقوبة القاسية التي نص عليها القرآن بقوله تعالى: (إِنَّهُمْ دِيجَا لَاوْن لِّلْكَ م وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ

جراؤا
ميم بن علفٍ أو يُنَقَّوَا مرت لِرَضِ

20-1

بَقْتُوَا أَوْ يُصَحِّبُوا أَوْ تُقَعِّلَمَ أَتِدِيهِمْ وَآ

(

سبق تخريجه .

'! البصامء أحكام القرآن (62/4):

-279-

صفحة 280

تلك لَمْ نري في لذن وَلَهْرُ في الأيْرَة عَدَاثُ عَظِيمُ (5) إلا ليمنت تَابُوا من قُلٍ أَنْ مَاعِكِيم لَمَلُّوَا أَت أمه عَمُورُ تيد 4 5 (المائدة: 33-34).

وحد الحراة له تفاصيل كثيرة يحتاج إلى صفحات عدة؛ ولكن نقتصر على العموميات في هذا الحد بدلاً من التفصيلات. عقوبة حد الحراة:

من تعريف الحرابة يتبين أن هذه الجريمة عدة جرائم. فقد يمارس قطاع الطرق السلب والسرقة والقتل وهتك الأعراض وإخافة الناس؛ والتعدي على أمنهم» ولذلك فإن عقوبة حد الحرابة تختلف باختلاف واقعها وما حصل فيها على النحو التالي: (0)

- 1 - القتل إن قتل قاطع الطريق فقط.
 - 2- القتل مع الصلب إذا جمع قاطع الطريق بين القتل وأخذ المال.
 - 3- القطع من خلاف إذا أخذوا من المال قدر نصاب السرقة ولم يقتلوا حيث تقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى.
 - 4- النفي إذا أخافوا الناس فقط ولم يقتلوا ولم يأخذوا مالاً. والنفي إما بالتغريب عن مكان إقامته أو بالحبس.
- سادساً- حد الردة:
- الردة لغة: الرجوع عن الشيء.
- الردة اصطلاحاً: الرجوع عن الإيمان أو قطع الإسلام بنية كفر أو قول كفر أو فعل كفر. ©
- عقوبة المرتد:
- للردة عقوبة أصلية وهي القتل وهناك عقوبات تبعية.

() ابن تيمية « السياسة الشرعية »؛ ص80.

0 الحسن الحصري المصدر السابق (2/122).

-280-

صفحة 281

والدليل على أن عقوبة المرتد القتل ما رواه ابن عباس نه أن رسول الله
قي قال: 'من بدل دينه فاقتلوه'. (1)

وقوله ولك: ألا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله
إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة

تنبيهه: قبل تنفيذ العقوبة على المرتد لا بد من استتابته؛ فإن تاب فلا عقاب
عليه بالقتل. وقد يعزر إن رأى الحاكم أن في ذلك مصلحة. وإن لم يتب أقيم عليه
حد الردة. والاستتابة تكون بإعطائه مهلة ووعظه وإرشاده ونصحه؛ لأن الغاية من
هذا الحد ليس قتل المرتد؛ وإنما هو تربته وعودته إلى رشده.

النوع الثاني: القصاص

القصاص في اللغة: مصدر قص يقص. من قص أثره إذا تتبع مواطن أقدامه في المسير. (3)

القصاص في الاصطلاح: هو معاقبة المجرم بمثل فعله فيقتل كما قتل ويجرح كما جرح؛ فالقصاص يقوم على المماثلة والمساواة بين الجريمة والعقوبة. (©) مشروعية القصاص:

استدل العلماء على مشروعية القصاص بأدلة عديدة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

' أخرجه البخاري في صحيحه (3017: 6922)؛ والترمذي في سننه (1458)؛ والنسائي سننه الصغرى (4064: 4070-4066).: وأبو داود في سننه (4351) « وابن ماجه في سننه (2532).

م0 أخرجه البخاري في صحيحه (6878)؛ ومسلم في صحيحه (1676)؛ والترمذي في سننه (1402). والنسائي في سننه الصغرى (4725)؛ وأبو داود في سننه (4352)؛ وابن ماجه في سننه (2534). واللفظ للبخاري.

" (لبن منظور. لسان العرب؛ مادة (قص).

8 سعيد حوىء الإسلام؛ ص23.

-281-

صفحة 282

حَمَكَا © (النساء: 92).

- قوله تعالى: (۱) وَمَنْ يَفْكُلْ مُؤَكَّاتٍ تَعْيِيدًا فِى دَهْمٍ جَهَنَّمَ خَنَلِدًا فِىهَا وَعَصَصَ لَهُ عَلَيْهِ وَلَصَّتْهُوَ أَعَدَّ لَدَىٰ عَذَابًا عَظِيمًا © (4 [النساء: 3).

- قوله تعالى: + وَكَفُّ فِى الْإِصْبَاحِ يَتَأْوَلَى الْأَبْبَ لَلَكُمْ تَنفِدٌ © (4 [البقرة: 179).

- قوله تعالى: + (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ الْقِتَالِ فِي الْعَدَلِ) (البقرة: 178).

ومن السنة النبوية:

- قوله فيك 'اجتنبوا السبع الموبقات' قيل يا رسول الله! وما هن؟ قال: الشرك بالله؛ وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق» وأكل الرباء وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات". (1)

- وقوله فق "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس والثيب الزاني» والتارك لدينه المفارق للجماعة". (2)
أنواع القصاص:

تتنوع جرائم القصاص التي فيها اعتداء على حق العباد إما بالاعتداء على النفس بالقتل أو الاعتداء على مادون النفس؛ كالجروح وقطع الأطراف.

(20)

(3)

-2082-

صفحة 283

النوع الثالث: التعزير

التعزير فسي اللغة: مصدر عَزَرَ يعزِّر عزراً وتعزيراً؛ بمعنى لام والعزر: اللوم. وعزره عن الشيء: منعه ورده وأدبه؛ وعزر القاضي المذنَّب» ضربه دون الحد الشرعي. (1)

التعزير في الاصطلاح: هو تأديب على ذنب لم تضع له الشريعة عقوبة مقترنة من حد أو قصاص والعقاب فيها مفوَّض إلى القاضي؛ معتمداً في ذلك على ظروف الجاني ودوافع الجريمة. (2)
دليل مشروعية التعزير:

عن أبي بردة الأنصاري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: 'لا يُجلد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود اللد'. (3)

وعن أبي هريرة ذه قال: قال رسول الله ﷺ: 'لا تعزروا فوق عشرة

أسواط". (4)

حكمة مشروعية التعزير:

لما كانت عقوبات الحدود والقصاص محدودة ومتناهية» بينما الحوادث والجرائم في كل عصر من العصور غير محدودة ولا متناهية. لذا كان من مقتضيات التشريع الإسلامي أن تكون هناك عقوبات لهذه الجرائم غير المنصوص عليها في الكتاب والسنة؛ أطلق عليها اسم (التعزير) وهو أمر لا بد منه لمحارب جميع أشكال الجريمة ومكافحة الفساد في المجتمع.

(فين منظور» المصبر السابق؛ مائة (عرق):

محمد عظة المرجع السابق» ص 270.

00 أغسجة البخاري في ه (6848 : 6850): ومسلم في صحيحه (1708).؛ والترمذي في سننه (1463).؛ وأبو داود في سننه (4491).؛ وابن ماجة في سننه (2601).

00 أخرجه ابن ماجة في سننه (2602).

-283-

صفحة 284

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على خصيصة المرونة والتطور التي يتمتع بها التشريع الإسلامي والثقافة الإسلامية.

أنواع الجرائم التي تستحق العقوبات التعزيرية:

هناك نوعان من الجرائم التي تستحق العقوبات التعزيرية وهي:

أ- جرائم فيها اعتداء مباشر على حقوق الله مثل انتهاك حرمت الدين كالإفطار في رمضان وما شابهها.

ب- جرائم فيها اعتداء مباشر على حقوق الناس الخاصة والعامة مثل:

السب والتحقير والاحتيال والغش وأكل الربا. (')

ونستطيع القول بأن التعزير يكون في جميع الجرائم التي لم تنص عليها عقوبات جرائم الحدود والقصاص.

الفرق بين الحد والتعزير:

من خلال دراسة ما سبق نستطيع استخلاص الفروق التالية:

1- العقوبة في الحد مقدّرة في الكتاب والسنة» أما العقوبة في التعزير فهي مقثرة قضاءً أي من قبل القاضي بما يتناسب مع أحوال الجاني وملابسات الجريمة.

2- الحد يدرأ بالشبهات؛ والتعزير يجب معها.

3- الحد لا يجب على غير البالغ (الصبي) والمجنون؛ بينما التعزير يصح عليه.

4- الحد لا تجوز الشفاعة فيه» أما التعزير فيجوز فيه ذلك.

(') سعيد حوى» المرجع السابق ص 640-633.

ممه